أفْعَـالُ الْقُلُـوْبِ
إلْغَاءً وتَعْلِيْقَاً

د. خَطَّاب عُمَر بَكْر
أُسْتَاذٌ مُسَاعِدٌ
كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ / جَامِعَةُ كَرْكُوْكَ

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ

اعْلَمْ أنَّ أفْعَالَ الْقُلُوْبِ أفْعَالٌ غَيْرُ مُؤَثِّرَةٍ، إذْ لَمْ يَصِلْ مِنْ فَاعِلِهَا شَـيْءٌ مِنْـهُ إلَـى غَيْرِهِ، لأنَّهَا أُمُوْرٌ تَقَعُ فِي نَفْسِ الْفَاعِلِ، ومَعَانِيْهَا قَائِمَةٌ بالْقَلْبِ وَمُتَعَلِّقَةٌ بِهِ مِنْ حَيْثُ إنَّهَا صَادِرَةٌ عَنْهُ لا عَنِ الْجَوارِحِ والأعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ، فَإذا(قُلْتَ: عَلِمْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً، فَإنَّمَا أثْبَتَّ الْقِيَامَ فِي عِلْمِكَ وَلَمْ تُوْصِلْ إلَى ذَاتِ زَيْدٍ شَيْئَاً)[1] وتِلْكَ الأُمُوْرُ إمَّا عِلْمٌ وإمَّا ظَنٌّ وإمَّا شَكٌّ، فَالْعِلْمُ، أي الْيَقِيْنُ، هُوَ الْقَطْعُ عَلَى الشَّيْءِ بِنَفْيٍ أوْ إيْجَابٍ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضٍ، فَإنْ وُجِدَ مُعَارِضٌ وتَرَدَّدَ النَّظَرُ بَيْنَهُمَا عَلَى سَوَاءٍ فَهُوَ شَكٌّ، وإنْ رُجِّحَ أحَدُهُمَا فَهُوَ ظَنٌّ، والْمَرْجُوْحُ وَهْمٌ، وأفْعَالُ الْيَقِيْنِ: عَلِمَ، ودَرَى، وتَعَلَّمْ بِمَعْنَى اعْلَمْ، ووَجَدَ، وألْفَى، وأفْعَالُ الظَّنِّ والشَّكِّ: حَجَا، وخَالَ، وحَسِبَ، وهَبْ، وظَنَّ، ورَأى، وعَدَّ، وجَعَلَ، وزَعَمَ، فَعَدَدُ الأفْعَالِ أرْبَعَةَ عَشْرَةَ فِعْلاً مُوَزَّعَةً عَلَى سَبْعَةِ أنْوَاعِ تَفْصِيْلاً.

عَرَضْنَا بَعْدَ ذِكْرِ مَعَانِي الأفْعَالِ لإلْغَائِهَا مُتَقَدِّمَةً ومُتَوَسِّطَةً ومُتَأخِّرَةً، فَرَأيْنَا الْبَصْرِيِّيْنَ يَمْنَعُوْنَ إعْمَالَهَا مُتَقَدِّمَةً اعْتِدَادَاً بِقُوَّةِ الْعَامِلِ بِخِلافِ الْكُوْفِيِّيْنَ الَّذِيْنَ يُجَوِّزُوْنَهُ لِوُرُوْدِ السَّمَاعِ بِهِ. رَأيْنَا أنَّ سَبَبَ إعْمَالِهَا وإلْغَائِهَا ـ عِنْدَ النُّحَاةِ ـ يَكْمُنُ فِي قُوَّةِ الْفِعْلِ وضَعْفِهِ، إنْ قَوِيَ وَجَبَ الإعْمَالُ وامْتَنَعَ الألْغَاءُ، وإنِ اعْتَرَاهُ وَهْنٌ جَازَ الإلْغَاءُ، وأمَّا الْمَعْنَى فَلَمْ يُؤْخَذْ بِنَظَرِ الاعْتِبَارِ، بَلْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أثَرٌ عِنْدَهُمْ.

تَطَرَّقْنَا بَعْدَ ذَلِكَ إلَى تَعْلِيْقِ هَذِهِ الأفْعَالِ، فَهُمْ يُوْجِبُوْنَ إبْطَالَ عَمَلِهَا لِمَانِعٍ لَفْظِيٍّ، وأمَّا الْمَعْنَى فَلَمْ يَحْظَ بِعِنَايَتِهِمْ، فَقَدْ أهْمَلُوْهُ ولَمْ يَلْتَفِتُوْا إلَيْهِ الْبَتَّةَ.

عِنْدِي أنَّ الْعَرَبِيَّ حِيْنَ كَانَ يُعْمِلُ أوْ يُلْغِي أوْ يُعَلِّقُ لَمْ يَكُنْ مُتَأثِّرَاً فِي ذَلِكَ بالْعَامِلِ، ولا وَاضِعَاً إيَّاهُ فِي حِسْبَانِهِ، ولا مُلْتَفِتَاً إلَيْهِ، وإنَّمَا كَانَ مَسُوْقَاً بالْمَعْنَى الَّذِي يُرِيْدُهُ، ومَأْخُوْذَاً بِهِ، لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ هَذا الْعَامِلَ الَّذِي أوْجَدَهُ النُّحَاةُ بَعْدُ، فَلِمَاذَا إذَنْ أعْمَلَ فَقَالَ(ظَنَنْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً) ثُمَّ ألْغَى بَعْدُ فَقَالَ(ظَنَنْتُ زَيْدٌ قَائِمٌ) ثُمَّ عَلَّقَ فَقَالَ(ظَنَنْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ) مَا دَامَ يَجْهَلُ الْعَامِلَ وَقُوَّةَ هَذا الْعَامِلِ أوْ ضَعْفَهُ، إذَنْ فَهُوَ يُعْمِلُ ويُلْغِي ويُعَلِّقُ مِنْ أجْلِ الْمَعْنَى الَّذِي لَهُ، دُوْنَ غَيْرِهِ، وُجُوْدٌ فِي ذِهْنِهِ واعْتِبَارٌ، لا مِنْ أجْلِ الْعَامِلِ الَّذِي لا وُجُوْدَ لَهُ ولا اعْتِبَارَ إلاَّ فِي ذِهْنِ النَّحْوِيِّ.

أفْعَـالُ الْقُلُـوْبِ
إلْغَـاءً وتَعْلِيْقَـاً

الأفْعَالُ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى الْجُمَلِ نَوْعَانِ، نَوْعٌ الْمَقْصُوْدُ مِنْهُ حِكَايَةُ لَفْظِ الْجُمْلَةِ، والْمُرَادُ بِهَذَا النَّوْعِ الْقَوْلُ، نَحْوُ(قُلْتُ ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرَاً)و(قُلْتُ زَيْدٌ ضَارِبٌ عَمْرَاً)، ولَمَّا كَانَ الْغَرَضُ مِنْ هَذَا النَّوْعِ حِكَايَةَ لَفْظِ الْجُمْلَةِ لَمْ يَعْمَلِ الْفِعْلُ فِيْهَا، فِعْلِيَّةً كَانَتِ الْجُمْلَةُ أوِ اسْمِيَّةً، كَمَا مُثِّلَ، لأنَّهُ يَجِبُ مُرَاعَاةُ الْمَحْكِيِّ.

ونَوْعٌ الْمَقْصُوْدُ مِنْهُ مَعْنَى الْجُمْلَةِ دُوْنَ لَفْظِهَا، والْمُرَادُ بِمَعْنَى الْجُمْلَةِ مَضْمُوْنُهَا، لِذَلِكَ لا بُدَّ لِهَذَا الْفِعْلِ أنْ يَعْمَلَ فِي الْجُمْلَةِ، ولا يَجُوْزُ أنْ تَكُوْنَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِعْلِيَّةً، لأنَّ الفِعْلَ لا يَعْمَلُ فِي الْفِعْلِ، فَإِذَنْ تَكُوْنَ اسْمِيَّةً.

والْفِعْلُ الدَّاخِلُ عَلَى الْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ إمَّا يَطْلُبُ مِنْهَا فَاعِلاً، وإمَّا مَفْعُوْلاً، فَإنْ طَلَبَ فَاعِلاً، وهَذَا فِي بَابِ كَانَ وأخَوَاتِهَا، رَفَعَ الْمُبْتَدَأَ تَشْبِيْهاً لَهُ بالْفَاعِلِ، ونَصَبَ الْخَبَرَ تَشْبِيْهاً لَهُ بالْمَفْعُوْلِ، والْفَاعِلُ حَقِيْقَةً فِي مِثْلِ هَذَا هُوَ مَصْدَرُ الْخَبَرِ مُضَافاً إلَى الْمُبْتَدَأ، فَالْفَاعِلُ فِي قَوْلِنَا(كَانَ زَيْدٌ مُسَافِرَاً) هُوَ: سَفَرُ زَيْدٍ، لأنَّهُ هُوَ الْحَادِثُ الْكَائِنُ حَقِيْقَةً، وكَذَا الْفَاعِلُ فِي(صَارَ زَيْدٌ نَاجِحَاً) هُوَ: نَجَاحُ زَيْدٍ، لأنَّهُ هُوَ الصَّائِرُ فِي الْحَقِيْقَةِ، وكَذَا فِي جَمِيْعِ أخَوَاتِ(كَانَ)، لأنَّ حُكْمَهَا بِمَعْنَى(كَانَ) مَعَ قَيْدٍ آخَرَ، فَمَعْنَى(صَارَ): كَانَ بَعْدَ أنْ لَمْ يَكُنْ، ومَعْنَى (زَالَ) وأخَوَاتِهَا: كَانَ دَائِمَاً، ومَعْنَى(أصْبَحَ) وأخَوَاتِهَا: كَانَ فِي الصُّبْحِ والْمَسَاءِ والضُّحَى واللَّيْلِ، ومَعْنَى (لَيْسَ): مَا كَانَ.[1]

وإنْ طَلَبَ الْفِعْلُ مَفْعُوْلاً، وهَذَا فِي بَابِ أفْعَالِ الْقُلُوْبِ والتَّصْيِيْرِ، نَصَبَ جُزْأَيِ الْجُمْلَةِ إنْ تَجَرَّدَتْ مِنْ(إنَّ) لأنَّ الْمَفْعُوْلَ الْحَقِيْقِيَّ فِي مِثْلِ هَذَا هُوَ مَصْدَرُ الْجُزْءِ الثَّانِي مُضَافاً إلَى الْجُزْءِ الأوَّلِ، أعْنِي مَصْدَرَ الْخَبَرِ مُضَافاً إلَى الْمُبْتَدَأ، إذْ إنَّ اعْتِمَادَ هَذِهِ الأفْعَالِ عَلَى الْمَفْعُوْلِ الثَّانِي الَّذِي كَانَ خَبَرَاً لِلْمُبْتَدَأ، فَإذَا قُلْتَ: عَلِمْتُ زَيْدَاً نَاجِحَاً، وَقَعَ عِلْمُكَ بِنَجَاحِ زَيْدٍ لا بِزَيْدٍ، لأنَّكَ كُنْتَ عَالِمَاً بِزَيْدٍ مِنْ قَبْلُ، كَمَا كَانَ الْمُخَاطَبُ عَالِمَاً بِهِ، وَلَكِنَّكَ ذَكَرْتَ الأوَّلَ لِيُعْلَمَ مَنِ الَّذِي عُلِمَ مِنْهُ النَّجَاحُ، فَالْفَائِدَةُ فِي الْمَفْعُوْلِ الثَّانِي، كَمَا كَانَتِ الْفَائِدَةُ فِي بَابِ الْمُبْتَدَأ والْخَبَرِ فِي الْخَبَرِ لا فِي الْمُبْتَدَأ[2]، ولَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الأفْعَالُ وَاقِعَةً عَلَى الْمُبْتَدَأ والْخَبَرِ، ومَعْنَاهَا مُتَعَلِّقٌ بِهِمَا جَمِيْعَاً لا بِإحْدَاهُمَا ـ أمَّا تَعَلُّقُهَا بالْخَبَرِ فَلأنَّهُ مَوْضِعُ الْفَائِدَةِ، وأمَّا تَعَلُّقُهَا بالْمُبْتَدَأ فَلِلإيْذَانِ بِصَاحِبِ الأمْرِ الْمَشْكُوْكِ فِيْهِ أوِ الْمُتَيَقَّنِ مِنْهُ ـ وَجَبَ أنْ تَنْصِبَهُمَا جَمِيْعَاً، لأنَّ الْفِعْلَ إذَا اشْتَغَلَ بِفَاعِلِهِ ورَفَعَهُ كَانَ جَمِيْعُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مَنْصُوْبَاً، لأنَّهُ يَكُوْنُ فَضْلَةً.[3]

وذَهَبَ السِّيْرَافِيُّ إلَى أنَّ الْمَفْعُوْلَيْنِ فِي ذَا الْبَابِ لَيْسَ أصْلُهُمَا الْمُبْتَدَأَ والْخَبَرَ مُسْتَدِلاًّ بِقَوْلِنَا: ظَنَنْتُ زَيْدَاً عَمْرَاً، إذْ لا يُقَالُ: زَيْدٌ عَمْرٌو، إلاَّ عَلَى جِهَةِ التَّشْبِيْهِ، وأنْتَ لَمْ تُرِدِ التَّشْبِيْهَ مَعَ(ظَنَنْتُ)، إذِ الْمُرَادُ أنَّكَ ظَنَنْتَ زَيْدَاً عَمْرَاً نَفْسَهُ، لا شِبْهَ عَمْرٍو، وأُجِيْبَ بِأنَّهُ مُتَأوَّلٌ بِمَعْنَى: ظَنَنْتُ الشَّخْصَ الْمُسَمَّى بِزَيْدٍ مُسَمَّى بِعَمْرٍو، كَمَا أُوِّلَ نَحْوُ: زَيْدٌ حَاتَمٌ، بِمَعْنَى: زَيْدٌ مِثْلُ حَاتَمٍ، بِشَهَادَةِ الْمَعْنَى.[4]

وذَهَبَ الْفَرَّاءُ إلَى أنَّ الثَّانِيَ لَيْسَ مَنْصُوْبَاً عَلَى الْمَفْعُوْلِيَّةِ، وإنَّمَا مَنْصُوْبٌ لِلتَّشَبُّهِ بالْحَالِ، مُسْتَدِلاًّ بِوُقُوْعِهِ جُمْلَةً وظَرْفَاً وجَارَّاً ومَجْرُوْرَاً، ولا يَقَعُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مَوْقِعَ الْمَفْعُوْلِ بِهِ، ورُدَّ بأنَّ الْمَفْعُوْلَ الثَّانِي يَقَعُ مَعْرِفَةً وضَمِيْرَاً وجَامِدَاً، وبأنَّهُ لا يَتِمُّ الْكَلامُ بِدُوْنِهِ، ولا تَقَعُ الْحَالُ مَعْرِفَةً ولا ضَمِيْرَاً ولا جَامِدَاً، وأيْضَاً يَتِمُّ الْكَلامُ بِدُوْنِهَا.[5]

ومَا رُدَّ بِهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ، لأنَّ الْحَالَ تَقَعُ مَعْرِفَةً وجَامِدَةً كَثِيْرَاً، وأيْضَاً لا يَتِمُّ الْكَلامُ بِدُوْنِهَا[6]، وأيْضَاً لِمَا أجَابَ أبُوْ حَيَّانَ عَنْ رَدِّهِمْ، فَقَالَ:(ولا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ كَوْنُ الْكَلامِ هُنَا لا يَتِمُّ بِدُوْنِهِ، ولَيْسَ ذَلِكَ شَأْنَ الْحَالِ، لأنَّهُ لَيْسَ بِحَالٍ حَقِيْقِيٍّ، بَلْ مُشَبَّهٌ بِهَا، والْمُشَبَّهُ بالشَّيْءِ لا يَجْرِي مَجْرَاهُ فِي جَمِيْعِ أحْكَامِهِ)[7].

والْوَجْهُ عِنْدِي أنْ يُرَدَّ الْفَرَّاءُ بأنْ يُقَالَ: إنَّ الْمَعْنَى يَأْبَى الْحَالِيَّةَ، ولا يَتِمُّ إذَا كَانَ حَالاً، فَفِي قَوْلِنَا: ظَنَنْتُ زَيْدَاً كَرِيْمَاً، إذَا جَعَلْنَا(كَرِيْمَاً) حَالاً، إمَّا أنْ يَكُوْنَ الْمَعْنَى: ظَنَنْتُ زَيْدَاً حَالَ كَوْنِهِ كَرِيْمَاً، وحِيْنَئِذٍ لا يَكُوْنُ كَلاماً تَامَّاً، كَمَا لا يَكُوْنُ تَامَّاً إذَا قُلْنَا: زَيْدٌ كَرِيْمَاً، فَالْمُخَاطَبُ يَسْألُ: مَا بِزَيْدٍ حَالَ كَوْنِهِ كَرِيْمَاً؟ لَكِنْ إذَا قُلْنَا: زَيْدٌ كَرِيْمَاً أفْضَلُ مِنْ أخِيْهِ، تَمَّ الْكَلامُ، وكَانَ الْمَعْنَى: زَيْدٌ حَالَ كَرَمِهِ أفْضَلُ مِنْ أخِيْهِ، فَقَدْ فَضَّلْنَاهُ عَلَى أخِيْهِ فِي الْكَرَمِ دُوْنَ غَيْرِهِ مِنَ الأشْيَاءِ، وكَذَلِكَ قَوْلُنَا: ظَنَنْتُ زَيْدَاً حَالَ كَوْنِهِ كَرِيْمَاً، لا يَتِمُّ إلاَّ بِذِكْرِ شَيْءٍ هُوَ الْمَفْعُوْلُ الثَّانِي، كَأنْ نَقُوْلُ: ظَنَنْتُ زَيْدَاً حَالَ كَوْنِهِ كَرِيْمَاً أفْضَلَ مِنْ عَمْرٍو، وإمَّا أنْ يَكُوْنَ الْمَعْنَى: ظَنَنْتُ حَالَ كَرَمِ زَيْدٍ، وهَذَا أيْضَاً لا مَعْنًى تَامَّ لَهُ، وأيْضَاً نَقُوْلُ: رَأَيْتُ اللهَ حَقَّاً، ورَأَيْتُ اللهَ أكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ، ولا يَجُوْزُ أنْ يَكُوْنَ(حَقَّاً)و(أكْبَرَ) حَالَيْنِ، لأنَّ ذَلِكَ يُفْضِي إلَى أنْ يَكُوْنَ اللهُ غَيْرَ ذَلِكَ فِي أحْوَالٍ أُخْرَى، وهَذَا بَاطِلٌ. واللهُ أعْلَمُ.

اعْلَمْ أنَّ أفْعَالَ الْقُلُوْبِ أفْعَالٌ غَيْرُ مُؤَثِّرَةٍ، إذْ لَمْ يَصِلْ مِنْ فَاعِلِهَا شَيْءٌ مِنْهُ إلَى غَيْرِهِ، لأنَّهَا أُمُوْرٌ تَقَعُ فِي نَفْسِ الْفَاعِلِ، ومَعَانِيْهَا قَائِمَةٌ بالْقَلْبِ وَمُتَعَلِّقَةٌ بِهِ مِنْ حَيْثُ إنَّهَا صَادِرَةٌ عَنْهُ لا عَنِ الْجَوَارِحِ والأعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ، فَإذَا(قُلْتَ: عَلِمْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً، فَإنَّمَا أثْبَتَّ الْقِيَامَ فِي عِلْمِكَ وَلَمْ تُوْصِلْ إلَى ذَاتِ زَيْدٍ شَيْئَاً)[٨] وتِلْكَ الأُمُوْرُ إمَّا عِلْمٌ وإمَّا ظَنٌّ وإمَّا شَكٌّ، فَالْعِلْمُ، أي الْيَقِيْنُ، هُوَ الْقَطْعُ عَلَى الشَّيْءِ بِنَفْيٍ أوْ إيْجَابٍ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضٍ، فَإنْ وُجِدَ مُعَارِضٌ وتَرَدَّدَ النَّظَرُ بَيْنَهُمَا عَلَى سَوَاءٍ فَهُوَ شَكٌّ، وإنْ رُجِّحَ أحَدُهُمَا فَهُوَ ظَنٌّ، والْمَرْجُوْحُ وَهْمٌ.

لَيْسَ كُلُّ فِعْلٍ قَلْبِيٍّ يَنْصِبُ مَفْعُوْلَيْنِ، بَلِ الْقَلْبِيُّ ثَلاثَةُ أقْسَامٍ، مَا لا يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، نَحْوُ(فَكَّرَ فِي الأمْرِ، وتَفَكَّرَ فِيْهِ)، ومَا يَتَعَدَّى لِوَاحِدٍ بِنَفْسِهِ، نَحْوُ(عَرَفَ زَيْدٌ الْحَقَّ، وفَهِمَ الْمَسْألَةَ)، ومَا يَتَعَدَّى لاثْنَيْنِ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هَهُنَا، وذَا عَلَى ضَرْبَيْنِ إجْمَالاً، الضَّرْبُ الأوَّلُ: مَا دَلَّ عَلَى يَقِيْنٍ، والضَّرْبُ الثَّانِي: مَا دَلَّ عَلَى ظَنٍّ، والدَّالُّ عَلَى الْيَقِيْنِ نَوْعَانِ، النَّوْعُ الأوَّلُ: يَقِيْنٌ فَقَطْ، وَأفْعَالُهُ: عَلِمَ، ودَرَى، وتَعَلَّمْ بِمَعْنَى اعْلَمْ، والنَّوْعُ الثَّانِي: إصَابَةُ الشَّيْءِ عَلَى صِفَةٍ، وَهُوَ: وَجَدَ، وألْفَى، والدَّالُّ عَلَى الظَّنِّ ثَلاثَةُ أنْوَاعٍ، النَّوْعُ الأوَّلُ: ظَنٌّ فَقَطْ، وأفْعَالُهُ: حَجَا، وخَالَ، وحَسِبَ، وهَبْ، والنَّوْعُ الثَّانِي: ظَنٌّ ويَقِيْنٌ، ولَهُ فِعْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ: ظَنَّ، والنَّوْعُ الثَّالِثُ: اعْتِقَادٌ، وذَا ثَلاثَةُ أوْجُهٍ، الْوَجْهُ الأوَّلُ: اعْتِقَادٌ جَازِمٌ فِي شَيْءٍ أنَّهُ عَلَى صِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، سَوَاءٌ كَانَ مُطَابِقَاً أوْ لا، ولَهُ فِعْلٌ وَاحِدٌ وَهُوَ: رَأى، والْوَجْهُ الثَّانِي: اعْتِقَادُ كَوْنِ الشَّيْءِ عَلَى صِفَةٍ اعْتِقَادَاً غَيْرَ مُطَابِقٍ، ولَهُ فِعْلانِ: عَدَّ، وجَعَلَ، والْوَجْهُ الثَّالِثُ: اعْتِقَادُ كَوْنِ الشَّيْءِ عَلَى صِفَةٍ اعْتِقَادَاً غَيْرَ مُسْتَنِدٍ إلَى وُثُوْقٍ، وفِعْلُهُ: زَعَمَ، فَعَدَدُ أفْعَالِ هَذَا الْبَابِ أرْبَعَةَ عَشَرَ فِعْلاً، مُوَزَّعَةً عَلَى سَبْعَةِ أنْوَاعٍ تَفْصِيْلاً. نَعْرِضُ، فِيْمَا يَأْتِي، لِكُلٍّ ذِي بالتَّفْصِيْلِ.

النَّوْعُ الأوَّلُ مِنَ الضَّرْبِ الأوَّلِ، وَهُوَ مَا يُفِيْدُ الْيَقِيْنَ فَقَطْ، أيْ مَا يُفِيْدُ فِي الْخَبَرِ يَقِيْنَاً، وَهُوَ: عَلِمَ، ودَرَى، وتَعَلَّمْ. أمَّا(عَلِمَ) فَقَدِ اشْتَرَطُوْا أنْ يَكُوْنَ بِمَعْنَى: تَيَقَّنَ، لا بِمَعْنَى: عَرَفَ[٩]، كَقَوْلِهِ تَعَالَى(فَإنْ عَلِمْتُمُوْهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ)[الممتحنة/١٠]، وقَوْلِهِ(فَأعْلَمْ أنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ)[محمد/١٩]، وقَوْلِهِ:

عَلِمْتُكَ الْبَاذِلَ الْمَعْرُوْفَ فانْبَعَثَتْ   إلَيْكَ بِي وَاجِفَاتُ الشَّوْقِ والأمَلِ

وقَوْلِهِ:

عَلِمْتُكَ مَنَّاءَاً فَلَسْتُ بآمِلٍ   نَدَاكَ وَلَوْ ظَمْآنَ غَرْثَانَ عَارِيَا

لَمْ يُفَرِّقِ الرَّضِي بَيْنَ(عَلِمَ، وعَرَفَ) فِي الْمَعْنَى، فَهُمَا عِنْدَهُ سَوَاءٌ(لأنَّ مَعْنَى: عَلِمْتُ أنَّ زَيْدَاً قَائِمٌ، و: عَرَفْتُ أنَّ زَيْدَاً قَائِمٌ، وَاحِدٌ، إلاَّ أنَّ: عَرَفَ، لا يَنْصِبُ جُزْأي الْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ كَمَا يَنْصِبُهُمَا: عَلِمَ، لا لِفَرْقٍ مَعْنَوِيٍّ بَيْنَهُمَا، بَلْ هُوَ مَوْكُوْلٌ إلَى اخْتِيَارِ الْعَرَبِ، فَإنَّهُمْ قَدْ يَخُصُّوْنَ أحَدَ الْمُتَسَاوِيَيْنِ فِي الْمَعْنَى بِحُكْمٍ لَفْظِيٍّ دُوْنَ الآخَرِ)[١٠] ، وهَذَا مِنْهُ بِنَاءً عَلَى أنَّ الْعِلْمَ والْمَعْرِفَةَ مُتَرَادِفَانِ، وَهُوَ قَوْلُ بَعْضِ أهْلِ الأُصُوْلِ والْمِيْزَانِ، ورُدَّ بأنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا وَاضِحٌ، وَهُوَ أنَّ الْعِلْمَ يَتَعَلَّقُ بالْمُرَكَّبَاتِ أوِ الْكُلِّيَّاتِ، والْمَعْرِفَةُ تَتَعَلَّقُ بالْجُزْئِيَّاتِ والْبَسَائِطِ[١١] ، وإلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ أبُوْ هِلالٍ الْعَسْكَرِيُّ فَقَالَ:(إنَّ لَفْظَ الْمَعْرِفَةِ يُفِيْدُ تَمْيِيْزَ الْمَعْلُوْمِ مِنْ غَيْرِهِ، ولَفْظَ الْعِلْمِ لا يُفِيْدُ ذَلِكَ إلاَّ بِضَرْبٍ آخَرَ مِنَ التَّخْصِيْصِ فِي ذِكْرِ الْمَعْلُوْمِ، والشَّاهِدُ قَوْلُ أهْلِ اللُّغَةِ: إنَّ الْعِلْمَ يَتَعَدَّى إلَى مَفْعُوْلَيْنِ لَيْسَ لَكَ الاقْتِصَارُ عَلَى أحَدِهِمَا إلاَّ أنْ يَكُوْنَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ،كَقَوْلِهِ تَعَالَى(لا تَعْلَمُوْنَهُمْ اللهُ يَعْلَمُهُمْ) [الأنفال/٦٠]، أيْ لا تَعْرِفُوْنَهُمْ اللهُ يَعْرِفُهُمْ، وإنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لأنَّ لَفْظَ الْعِلْمِ مُبْهَمٌ، فَإذَا قُلْتَ: عَلِمْتُ زَيْدَاً، فَذَكَرْتَهُ باسْمِهِ الَّذِي يَعْرِفُهُ بِهِ الْمُخَاطَبُ لَمْ يَفِدْ، فَإذَا قُلْتَ: قَائِمَاً، أفَدْتَ، لأنَّكَ دَلَّلْتَ بِذَلِكَ عَلَى أنَّكَ عَلِمْتَ زَيْدَاً عَلَى صِفَةٍ جَازَ أنْ لا تَعْلَمَهُ عَلَيْهَا مَعَ عِلْمِكَ بِهِ فِي الْجُمْلَةِ، وإذَا قُلْتَ: عَرَفْتُ زَيْدَاً، أفَدْتَ، لأنَّهُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: عَلِمْتُهُ مُتَمَيِّزَاً مِنْ غَيْرِهِ، فَاسْتُغْنِيَ عَنْ قَوْلِكَ: مُتَمَيِّزَاً مِنْ غَيْرِهِ، لِمَا فِي لَفْظِ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الدَّلالَةِ عَلَى ذَلِكَ)[١٢] .

أرَى، كَمَا رَأى الرَّضِي، أنْ لا فَرْقَ جَوْهَرِيَّ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى، وإنَّمَا الْفَرْقُ فِي أثَرِ كُلٍّ مِنْهُمَا فِي الْمَفْعُوْلِ، فَإنْ كَانَ أثَرُهُ فِي الْمَفْعُوْلِ مُؤَثِّرَاً ووَاصِلاً إلَيْهِ، أعْنِي إنْ كَانَ الْمَفْعُوْلُ ذَاتَاً يُدْرَكُ بالْحَاسَّةِ فَهُوَ(عَرَفَ وعَلِمَ) الْمُتَعَدِّيَانِ إلَى وَاحِدٍ، نَحْوُ: عَرَفْتُ زَيْدَاً، وعَلِمْتُ زَيْدَاً، أيْ ذَاتَهُ، إذْ وَصَلَتْ مَعْرِفَتِي وعِلْمِي إلَى ذَاتِ زَيْدٍ وأثَّرَتْ فِيْهِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ أثَرُهُ فِي الْمَفْعُوْلِ مُؤَثِّرَاً ولا

وَاصِلاً إِلَيْهِ، وإنَّمَا إلَى مَعْنًى يَتَعَلَّقُ بِهِ، أعْنِي إنْ كَانَ الْمَفْعُوْلُ مَعْنًى مَسْبُوْقَاً بِذَاتٍ يَعُوْدُ عَلَيْهِ، فَهُوَ(عَلِمَ) الْمُتَعَدِّي إلَى اثْنَيْنِ، نَحْوُ: عَلِمْتُ زَيْدَاً كَرِيْمَاً، والْمَعْنَى: عَلِمْتُ كَرَمَ زَيْدٍ، فَعِلْمِي لَمْ يَقَعْ عَلَى ذَاتِ زَيْدٍ، وإنَّمَا عَلَى صِفَتِهِ، وَهِيَ كَرَمُهُ، ولَمْ يَسْتَعْمِلِ الْعَرَبُ(عَرَفَ) هَذَا الاسْتِعْمَالَ، أعْنِي أنْ يَكُوْنَ مَفْعُوْلُهُ مَعْنًى مَسْبُوْقَاً بِذَاتِهِ، فَلَمْ يَقُوْلُوا: عَرَفْتُ زَيْدَاً كَرِيْمَاً، كَمَا قَالُوْا: عَلِمْتُ زَيْدَاً كَرِيْمَاً، مَعَ كَوْنِ(عَلِمَ وعَرَفَ) بِمَعْنًى وَاحِدٍ، فَقَدِ اسْتَغْنَوْا، هَهُنَا، عَنْ(عَرَفَ) بِـ (عَلِمَ) كَمَا اسْتَغْنَوْا عَنْ(وَدَعَ) بِـ (تَرَكَ) مَعَ اتِّحَادِ مَعْنَاهُمَا، ولا يُسْأَلُ عَنْ سَبَبِ هَذَا الاسْتِغْنَاءِ، لأنَّ ذَلِكَ أمْرٌ مَوْكُوْلٌ إلَى الْعَرَبِ، كَمَا قَالَ الرَّضِي، لِذَلِكَ كَانَ (عَلِمَ) قَلْبِيَّاً، ولَمْ يَكُنْ(عَرَفَ) كَذَلِكَ، وإلَى ذَا أَوْ مَا هُوَ قَرِيْبٌ مِنْهُ أشَارَ ابْنُ يَعِيْشَ، قَالَ:(عَلِمْتُ، إذَا أُرِيْدَ بِهِ مَعْرِفَةُ ذَاتِ الاسْمِ ولَمْ يَكُنْ عَارِفَاً بِهِ قَبْلُ، ولا بُدَّ فِيْهِ مِنْ شَيْءٍ مِنْ إدْرَاكِ الْحَاسَّةِ، فَتَقُوْلُ: عَلِمْتُ زَيْدَاً، أيْ عَرَفْتُ شَخْصَهُ ولَمْ تَكُنْ عَرَفْتَهُ قَبْلُ، ولَيْسَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: عَلِمْتُ زَيْدَاً عَالِمَاً، إذَا أخْبَرْتَ أنَّكَ عَلِمْتَهُ مُتَّصِفَاً بِهَذِهِ الصِّفَةِ ولَمْ تَكُنْ عَرَفْتَهُ قَبْلَ ذَلِكَ وإنْ كُنْتَ عَارِفَاً بِذَاتِهِ مُجَرَّدَةً مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ)[13] ، وقَالَ الأشْمُوْنِي:(هَذِهِ الأفْعَالُ لا تُؤَثِّرُ فِيْمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ تَأْثِيْرَ الْفِعْلِ فِي الْمَفْعُوْلِ، لأنَّ مُتَنَاوَلَهَا فِي الْحَقِيْقَةِ لَيْسَ هُوَ الأشْخَاصَ، وإنَّمَا مُتَنَاوَلُهَا الأحْدَاثُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا أسَامِي الْفَاعِلِيْنَ والْمَفْعُوْلِيْنَ)[14] ،وقَالَ أبُو الْبَقَاءِ الْكَفَوِيُّ فِي الْكُلِّيَّاتِ:(والْعِلْمُ، بِمَعْنَى إدْرَاكِ الشَّيْءِ بِحَقِيْقَتِهِ، الْمُتَعَلِّقُ بالذَّاتِ يَتَعَدَّى إلَى وَاحِدٍ، أوْ بالنِّسْبَةِ يَتَعَدَّى إلَى اثْنَيْنِ)[15].

فَإنْ قِيْلَ: قَدْ لا يَقَعُ الْمَفْعُوْلُ الثَّانِي مَعْنًى مُتَعَلِّقَاً بِذَاتٍ كَمَا فِي نَحْوِ: عَلِمْتُ زَيْدَاً أخَاكَ، قُلْنَا: يُشْتَقُّ مِنْهُ الْمَعْنَى، فَيَكُوْنُ: عَلِمْتُ أخَوِيَّةَ زَيْدٍ لَكَ، كَمَا قَالُوْا فِي: ظَنَنْتُ زَيْدَاً أخَاكَ: ظَنَنْتُ أخَوِيَّةَ زَيْدٍ لَكَ، واللهُ أعْلَمُ.

ألْحَقَ الأخْفَشُ بِـ (عَلِمَ): سَمِعَ، إذَا كَانَ مَفْعُوْلُهُ ذَاتَاً وَلِيَهُ فِعْلٌ دَالٌّ عَلَى الصَّوْتِ، نَحْوُ: سَمِعْتُ زَيْدَاً يَتَكَلَّمُ، بِخِلافِ مَا إذَا كَانَ مَفْعُوْلُهُ مِمَّا يُسْمَعُ، نَحْوُ: سَمِعْتُ كَلامَاً، وسَمِعْتُ خُطْبَةً، وجَعَلَ مِنْهُ قَوْلَهُ تَعَالَى (سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبْرَاهِيْمُ)[الأنبياء/٦٠]، ووَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ الْفَارِسِيُّ وابْنُ بَابْشَاذَ وابْنُ عُصْفُوْرٍ وابْنُ الضَّائِعِ وابْنُ أبِي الرَّبِيْعِ وابْنُ مَالِكٍ، واحْتَجُّوا بأنَّهُ لَمَّا دَخَلَ عَلَى غَيْرِ مَظْنُوْنٍ أُتِي بَعْدَ ذَلِكَ بِمَفْعُوْلٍ ثَانٍ يَدُلُّ عَلَى الْمَظْنُوْنِ. أنْكَرَهُ الْجُمْهُوْرُ ورَدُّوْهُ بِأمْرَيْنِ، أحَدُهُمَا: أنَّ(سَمِعَ) لا يَتَعَدَّى إلاَّ إلَى مَفْعُوْلٍ وَاحِدٍ، لأنَّهُ مِنْ أفْعَالِ الْحَوَاسِّ، وأفْعَالُ الْحَوَاسِّ كُلُّهَا تَتَعَدَّى إلَى مَفْعُوْلٍ وَاحِدٍ، فَإنْ كَانَ مِمَّا يُسْمَعُ فَهُوَ ذَاكَ، وإنْ كَانَ ذَاتَاً، أيْ عَيْنَاً، فَهُوَ الْمَفْعُوْلُ، والْفِعْلُ بَعْدَهُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِيَّةِ، وَهُوَ عَلَى تَقْدِيْرِ حَذْفِ مُضَافٍ، أيْ: سَمِعْتُ صَوْتَ زَيْدٍ فِي حَالِ أنَّهُ يَتَكَلَّمُ، وثَانِي الأمْرَيْنِ: أنَّ(سَمِعَ) لَوْ تَعَدَّى إلَى مَفْعُوْلَيْنِ لَكَانَ إمَّا مِنْ بَابِ(أعْطَى)، وإمَّا مِنْ بَابِ(ظَنَّ)، ولا يَجُوْزُ أنْ يَكُوْنَ مِنَ الأوَّلِ لِكَوْنِ الْمَفْعُوْلِ الثَّانِي فِي(سَمِعَ) فِعْلاً، والْفِعْلُ لا يَكُوْنُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُوْلِ الثَّانِي فِي بَابِ(أعْطَى)، وكَذَلِكَ لا يَجُوْزُ أنْ يَكُوْنَ مِنْ بَابِ(ظَنَّ)، لأنَّ(سَمِعَ) لا يَجُوْزُ إلْغَاؤُهُ، وبَابُ(ظَنَّ) يَجُوْزُ فِيْهِ ذَلِكَ.[16]

وعِنْدِي أنَّهُ لا بُعْدَ فِي إلْحَاقِ(سَمِعَ) بِـ (عَلِمَ)، لأنَّ قَوْلَكَ: عَلِمْتُ زَيْدَاً يَتَكَلَّمُ، بِمَعْنَى: عَلِمْتُ كَلامَ زَيْدٍ، لأنَّ الْمَفْعُوْلَ الْحَقِيْقِيَّ، كَمَا قَالُوْا، هُوَ مَصْدَرُ الْمَفْعُوْلِ الثَّانِي مُضَافَاً إلَى الْمَفْعُوْلِ الأوَّلِ، فَالَّذِي عَلِمْتَهُ لَيْسَ زَيْدَاً، وإنَّمَا كَلامُهُ، وكَذَا قَوْلُكَ: سَمِعْتُ زَيْدَاً يَتَكَلَّمُ، بِمَعْنَى: سَمِعْتُ كَلامَ زَيْدٍ، لأنَّ الَّذِي سَمِعْتَهُ لَيْسَ زَيْدَاً، وإنَّمَا كَلامُهُ، فَكَمَا أنَّ(زَيْدَاً) لَيْسَ مَفْعُوْلاً حَقِيْقِيَّاً لِـ (عَلِمَ)، كَذَلِكَ لَيْسَ مَفْعُوْلاً لِـ (سَمِعَ)، ومَفْعُوْلُهُمَا الْحَقِيْقِيُّ إنَّمَا هُوَ(يَتَكَلَّمُ).

وأمَّا قَوْلُهُمْ بأنَّ(يَتَكَلَّمُ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ حَالٌ، وَهُوَ عَلَى تَقْدِيْرِ حَذْفِ مُضَافٍ، أيْ: سَمِعْتُ صَوْتَ زَيْدٍ فِي حَالِ أنَّهُ يَتَكَلَّمُ، فَبَاطِلٌ لأمْرَيْنِ، أحَدُهُمَا: أنَّهُ لَوْ كَانَ حَالاً لَبَقِيَ الْفِعْلُ بِدُوْنِ مَفْعُوْلٍ، لأنَّ(زَيْدَاً) لا يَجُوْزُ أنْ يَكُوْنَ مَفْعُوْلاً، إذْ لا يُقَالُ: سَمِعْتُ زَيْدَاً، والْمُرَادُ سَمَاعُ كَلامِهِ، وثَانِيْهُمَا: لَيْسَ للصَّوْتِ إلاَّ حَالٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الْكَلامُ، بِخِلافِ قَوْلِنَا: رَأيْتُ زَيْدَاً مَاشِيَاً، إذْ جَازَ كَوْنُ(مَاشِيَاً) حَالاً، لأنَّ لِزَيْدٍ أحْوَالاً عَدِيْدَةً، أمَّا الصَّوْتُ فَلَيْسَ لَهُ إلاَّ حَالُ الْكَلامِ، ولا يُقَالُ إنَّ للصَّوْتِ أحْوَالاً أيْضَاً، كَالْغِنَاءِ وحِكَايَةِ أصْوَاتِ الطَّبِيْعَةِ، لأنَّا نَقُوْلُ: الْغِنَاءُ كَلامٌ أيْضَاً، وأمَّا حِكَايَةُ الأصْوَاتِ فَلَيْسَ كَلامَاً، وأيْضَاً يَتَسَاوَى فِيْهَا الْبَشَرُ جَمِيْعَاً، فَلَوْ أنَّ أحَدَهُمْ حَكَى خَرِيْرَ الْمَاءِ أوْ عَوَاءَ الْكَلْبِ

تَعذَّرَ عَلَى السَّامِعِ مَعْرِفَةَ الْحَاكِي إنْ لَمْ يَرَهُ، ولَيْسَ كَذَلِكَ الصَّوْتُ الَّذِي هُوَ الْكَلامُ، إذْ يَعْرِفُ السَّامِعُ صَاحِبَهُ وإنْ لَمْ يرَهُ، ومَا قِيْلَ عَنْ أصْوَاتِ الطَّبِيْعَةِ يُقَالُ عَنْ صَوْتِ الْبُكَاءِ والضَّحِكِ.

وأمَّا قَوْلُهُمْ: إنَّ(سَمِعَ) لَوْ تَعَدَّى إلَى اثْنَيْنِ لَكَانَ إمَّا مِنْ بَابِ(أعْطَى) وإمَّا مِنْ بَابِ(ظَنَّ)، ويُبْطِلُ الأوَّلَ كَوْنُ الثَّانِي فِعْلاً، والْفِعْلُ لا يَكُوْنُ فِي مَوْضِعِ الثَّانِي فِي بَابِ(أعْطَى)، ويُبْطِلُ الثَّانِيَ عَدَمُ جَوازِ إلْغَائِهِ، وبَابُ(ظَنَّ) يَجُوْزُ فِيْهِ الإلْغَاءُ، فَنَقُوْلُ: صَحِيْحٌ أنَّهُ مَحَالٌ أنْ يَكُوْنَ مِنْ بَابِ(أعْطَى)، لأنَّهُ فِعْلُ، ولأنَّهُ خَبَرٌ، إذْ يَجُوْزُ أنْ يُقَالَ: زَيْدٌ يَتَكَلَّمُ، ولَيْسَ كَذَلِكَ الثَّانِي فِي بَابِ(أعْطَى)، وأمَّا عَدَمُ جَوَازِ إلْغَائِهِ فَذَلِكَ أمْرٌ يَتَعَلَّقُ بمَعْنَاهُ، لأنَّ الْغَرَضَ مِنَ الإلْغَاءِ، والدَّافِعَ إلَيْهِ، كَمَا سَنَرَى بَعْدُ، الْمَعْنَى، فَإذَا أعْمَلْتَ قُلْتَ: ظَنَنْتُ زَيْداً مُسَافِرَاً، وبَنَيْتَ كَلامَكَ عَلَى الشَّكِّ وانْتَهَيْتَ بهِ، والْمَعْنَى: شَكَكْتُ فِي سَفَرِ زَيْدٍ، وإذَا أَلْغَيْتَ قُلْتَ: ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، وبَدَأْتَ كَلامَكَ بالشَّكِّ ثُمَّ أَلْغَيْتَهُ وبَنَيْتَ مَا بَعْدَهُ عَلَى الْيَقِيْنِ، فَالْكَلامُ هَهُنَا جُمْلَتَانِ مُتَنَاقِضَتَانِ، جُمْلَةُ الشَّكِّ الْمَلْغِيَّةُ، وَهِيَ ظَنَنْتُ، وجُمْلَةُ الْيَقِيْنِ، وَهِيَ جُمْلَةُ(زَيْدٌ مُسَافِرٌ) بخِلافِ الإعْمَالِ، إذِ الْكَلامُ جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الشَّكِّ لا غَيْرُ، ولا يَتَأَتَّى ذَلِكَ مَعَ(سَمِعَ)، إذْ لا يَجُوْزُ أنْ نُلْغِيَ فَنَقُوْلَ: سَمِعْتُ زَيْدٌ يَتَكَلَّمُ، بِجَعْلِ الْكَلامِ جُمْلَتَيْنِ، إذْ لا فَائِدَةَ فِي ذَلِكَ، لأنَّ جُمْلَةَ(سَمِعْتُ) هِيَ نَفْسُ جُمْلَةِ(زَيْدٌ يَتَكَلَّمُ)، بِخِلافِ قَوْلِكَ: ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، فَقَدْ بَدَأْتَ بالشَّكِّ، ولَمَّا بَدَا لَكَ أنَّ سَفَرَهُ يَقِيْنٌ أَلْغَيْتَ الظَّنَّ فَبَدَأتَ بالْيَقِيْنِ فَقُلْتَ: زَيْدٌ مُسافِرٌ، فَعَدَمُ جَوازِ إلْغَائِهِ لا يُخْرِجُهُ عَنْ أفْعَالِ الْقُلُوْبِ، لأنَّ ثَمَّ أفْعَالاً قَلْبِيَّةً لا يَجُوْزُ فِيْهَا الإلْغَاءُ، كَمَا سَنَرَى بَعْدُ، ويُقَوِّي مَا ذَهَبْتُ إلَيْهِ رَدُّ بَعْضِهِمْ عَلَى الْمُنْكِرِيْنَ بأنَّ مِنَ الأفْعَالِ الْقَلْبِيَّةِ مَا لا يَجُوْزُ إلْغَاؤُهُ كـ : هَبْ وتَعَلَّمْ وأفْعَالِ التَّصْيِيْرِ، فَلْيَكُنْ(سَمِعَ) مِثْلُ مَا ذُكِرَ.[17]

وأمَّا(دَرَى) فَقَدِ اشْتَرَطُوْا فِيْهِ أنْ يَكُوْنَ بمَعْنَى(عَلِمَ)[18] ، واعْلَمْ أنَّ فِي عَدِّهِمْ إيَّاهُ مِنْ ذَا الْبَابِ نَظَرَاً، إذْ لَمْ يَرِدْ عَنِ الْعَرَبِ فِي مَعَانِيْهِ كُلِّهَا مُتَعَدِّيَاً لاثْنَيْنِ، يُقَالُ: دَرَى الأمْرَ: عَلِمَهُ، أوْ عَلِمَهُ بضَرْبٍ مِنَ الْحِيْلَةِ، وإذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ الْهَمْزَةُ تَعَدَّى إلَى الْمَفْعُوْلِ الأوَّلِ بنَفْسِهِ، وإلَى الثَّانِي بالْبَاءِ، يُقَالُ: أدْرَاهُ بالْخَبَرِ: أيْ أعْلَمَهُ بهِ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أدْرَاكُمْ بهِ)[يونس/١٦]، ودَرَى الصَّيْدَ: خَتَلَهُ، أيِ اسْتَخْفَى لِيَصِيْدَهُ، ودَرَى رَأْسَهُ: حَكَّهُ بالْمِدْرَى، وَهِيَ حَدِيْدَةٌ يُحَكُّ بهَا الرَّأْسُ.[19]

الَّذِي عَدَّهُ مِنْ ذَا الْبَابِ الْكُوْفِيُّوْنَ وتَبِعَهُمْ ابْنُ مَالِكٍ[20] مُسْتَدِلِّيْنَ ببَيْتٍ يَتِيْمٍ غَيْرِ مَنْسُوْبٍ:

دُرِيْتَ الْوَفِيَّ الْعَهْدَ يَا عُرْوَ فَاغْتَبطْ   فَإنَّ اغْتِبَاطَاً بالْوَفَاءِ حَمِيْدُ

أنْكَرَهُ أبُوْ حَيَّانَ، وَهُوَ الْحَقُّ، فَقَالَ:(لَمْ يَعُدَّهَا أَصْحَابُنَا فِيْمَا يَتَعَدَّى لاثْنَيْنِ، ولَعَلَّ الْبَيْتَ مِنْ بَابِ التَّضْمِيْنِ، ضَمَّنَ(دُرِيْتَ) مَعْنَى(عُلِمْتَ)، والتَّضْمِيْنُ لا يَنْقَاسُ ولا يَنْبَغِي أنْ يُجْعَلَ أصْلاً حَتَّى يَكْثُرَ، ولا يَثْبُتُ ذَلِكَ ببَيْتٍ نَادِرٍ مُحْتَمَلٍ للتَّضْمِيْنِ)[21] ، وقَدْ صَرَّحَ الرَّضِي نَفْسُهُ بأنَّهُ لا يَنْصِبُ مَفْعُوْلَيْنِ صَرِيْحَيْنِ، بَلْ تَرِدُ الاَسْمِيَّةُ بَعْدَهَا مُصَدَّرَةً بـ (أنَّ)، نَحْوُ: دَرَيْتُ أنَّكَ قَائِمٌ،[22] ومَجِيْئُ(أنَّ) بَعْدَهُ لا يَنْهَضُ دَلِيْلاً عَلَى تَعَدِّيْهِ لاثْنَيْنِ لِمَجِيْئِهَا أيْضَاً بَعْدَ(عَرَفَ) وَهُوَ مُتَعَدٍّ لِوَاحِدٍ اتِّفَاقَاً، وعَلَيْهِ أرَى أنْ لا يُعَدَّ(دَرَى) فِيْمَا يَتَعَدَّى لاثْنَيْنِ، كَمَا لَمْ يَعُدَّهُ الْقُدَمَاءُ مِنْهَا، ولَعَلَّهُمْ عَدُّوهُ مِنَ ذَا الْبَابِ لَمَّا رَأَوْهُ بمَعْنَى(عَلِمَ)، ويُرَدُّ بأنَّ(عَرَفَ) أيْضَاً بِمَعْنَى(عَلِمَ)، وأيْضَاً فَقَدْ صَرَّحَ بَعْضُ أهْلِ اللُّغَةِ بأنَّ الدِّرَايَةَ أخَصُّ مِنَ الْعِلْمِ، وقَالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ(دَرَى) يَكُوْنُ فِيْمَا سَبَقَهُ شَكٌّ.[23]

واشْتَرَطُوْا فِي(تَعَلَّمْ) الْجُمُوْدَ أمْرَاً بِمَعْنَى(اعْلَمْ)[24] ، قَالُوْا : لا يُسْتَعْمَلُ(تَعَلَّمْ) بِمَعْنَى(اعْلَمْ) إلاَّ فِي الأمْرِ[25] ، ومِنْهُ قَوْلُ زِيَادِ بْنِ سَيَّار:

تَعَلَّمْ شِفَاءَ النَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّهَا   فَبَالِغْ بلُطْفٍ فِي التَّحَيُّلِ والْمَكْرِ

والأكْثَرُ وُقُوْعُهُ عَلَى(أنَّ) الْمُشَدَّدَةِ، ومِنْهُ حَدِيْثُ الدَّجَّالِ:(تَعَلَّمُوْا أنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بأعْوَرَ)، وقَوْلُ الْقَطَامِيِّ:

تَعَلَّمْ أنَّ بَعْدَ الْغَيِّ رُشْدَاً   وأنَّ لِهَذِهِ الْغُبَرِ انْقِشَاعَاً

وقَوْلُ زُهَيْرِ بْنِ أبِي سُلْمَى:

فَقُلْتُ تَعَلَّمْ أنَّ للصَّيْدِ غِرَّةً   وألاَّ تَضِيْعَهَا فَإنَّكَ قَاتِلُهُ
وقَوْلُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ:
تَعَلَّمْ أنَّهُ لا طَيْرَ إلاَّ   عَلَى مُتَطَيِّرٍ، وَهُوَ الثُّبُوْرُ
وقَوْلُ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمِ الْمُرِّيِّ:
تَعَلَّمْ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ، أنِّي فَاتِكٌ   مِنَ الْيَوْمِ أوْ مِنْ بَعْدِهِ بابْنِ جَعْفَرٍ
وقَوْلُ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرو، ويُنْسَبُ لِعَمْرِو بْنِ مَعْدِيْكَرِبَ:
تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاس طُرَّاً   قَتِيْلٌ بَيْنَ أحْجَارِ الْكُلابِ

وقَالَ الرَّضِي: إنَّهُ لا يَنْصِبُ الْمَفْعُوْلَيْنِ، بَلْ تَرِدُ الاسْمِيَّةُ بَعْدَهُ مُصَدَّرَةً بِـ (أنَّ)[٢٦] ، وَهُوَ الْحَقُّ، لأنَّهُ لَمْ يَرِدْ نَصْبُهُ لِصَرِيْحِ الْمَفْعُوْلَيْنِ إلاَّ فِي قَوْلِ زِيَادِ بْنِ سَيَّارٍ، ويُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى الضَّرُوْرَةِ، والضَّرُوْرَةُ لا يُقَاسُ عَلَيْهَا.

أنْكَرَ أبُوْ حَيَّانَ جُمُوْدَهُ اسْتِدْلالاً بِمَا حَكَى يَعْقُوْبُ: تَعَلَّمْتُ فُلانَاً خَارِجَاً، بِمَعْنَى: عَلِمْتُ خُرُوْجَهُ[٢٧] ، وأحْسَبُ أنَّ أبَا حَيَّانَ، عَلَى جَلالَةِ قَدْرِهِ، لَمْ يَتَوَخَّ الدِّقَّةَ فِيْمَا حَكَاهُ عَنْ يَعْقُوْبٍ، فَقَدْ حَكَى عَنْهُ غَيْرُهُ: تَعَلَّمْ أنَّ زَيْدَاً خَارِجٌ[٢٨] ، ونَقَلُوْا عَنْهُ أيْضَاً أنَّهُ قَالَ: إذَا قِيْلَ لَكَ: اعْلَمْ كَذَا، قُلْتَ: قَدْ عَلِمْتُ، وإذَا قِيْلَ لَكَ: تَعَلَّمْ كَذَا، لَمْ تَقُلْ: قَدْ تَعَلَّمْتُ، وأنْشَدَ:
تَعَلَّمْ أنَّهُ لا طَيْرَ إلاَّ   عَلَى مُتَطَيِّرٍ وَهُوَ الثُّبُوْرُ[٢٩]

فَهَذَا نَصٌّ مِنْهُ صَرِيْحٌ عَلَى أنَّ(تَعَلَّمْ) جَامِدٌ لا يُسْتَعْمَلُ مِنْهُ إلاَّ الأمْرُ، كَمَا أقَرَّهُ غَيْرُهُ مِنْ أئِمَّةِ اللُّغَةِ، وأمَّا الْمُتَصَرِّفُ: تَعَلَّمَ يَتَعَلَّمُ تَعَلُّمَاً، فَيَتَعَدَّى إلَى وَاحِدٍ، وَهُوَ بِمَعْنَى(عَلِمَ)، أيْ أتْقَنَ، يُقَالُ: عَلَّمَهُ الْعِلْمَ فَتَعَلَّمَهُ، أيْ أتْقَنَهُ، كَمَا يُقَالُ: عَلِمَ الْعِلْمَ، أيْ أتْقَنَهُ، وقَالَ ابْنُ بَرِّي: واسْتُغْنِيَ عَنْ(تَعَلَّمْتُ) بِـ (عَلِمْتُ).[٣٠]

النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الضَّرْبِ الأوَّلِ: مَا يُفِيْدُ إصَابَةَ الشَّيْءِ عَلَى صِفَةٍ، وَهُوَ: وَجَدَ وألْفَى. لِـ (وَجَدَ) سِتَّةُ مَعَانٍ، الأوَّلُ: الإصَابَةُ، يُقَالُ: وَجَدَ الْمَطْلُوْبَ والشَّيْءَ: أدْرَكَهُ، أيْ أصَابَهُ، يَجِدُ وَجْدَاً، ووُجْدَاً، ووِجْدَانَاً، وجِدَةً، ووُجُوْدَاً، وَهُوَ مُتَعَدٍّ لِوَاحِدٍ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَمْ يَجِدُوْا عَنْهَا مَصْرَفَاً)[الكهف/٥٣].والثَّانِي: الإيْسَارُ، أي الاسْتِغْنَاءُ، يُقَالُ: وَجَدَ الْمَالَ، إذَا اسْتَغْنَى، يَجِدُ وَ◌ُ◌ِجْداً، مُثَلَّثَةً، ووِجْدَانَاً، وجِدَةً، يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، وقِيْلَ: لايَتَعَدَّى، يُقَالُ: وَجَدَ فُلانٌ، إذَا اسْتَغْنَى، أيْ صَارَ ذَا مَالٍ. والثَّالِثُ: الْغَضَبُ، يُقَالُ: وَجَدَ عَلَى فُلانٍ، إذَا غَضِبَ عَلَيْهِ، يَجِدُ وَجْدَاً، ومَوْجِدَةً، ووِجْدَانَاً، وجِدَةً، وَهُوَ مُتَعَدٍّ بِحَرْفِ الْجَرِّ(عَلَى)، وَفِي حَدِيْثِ الإيْمَانِ: (إنِّي سَائِلُكَ فَلا تَجِدْ عَلَيَّ)، أيْ لا تَغْضَبْ عَلَيَّ مِنْ سُؤَالِي، ومِنْهُ الْحَدِيْثُ:(لَمْ يَجِدِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ). والرَّابِعُ: الْحُزْنُ، يُقَالُ: وَجَ◌ِدَ، بِالْفَتْحِ والْكَسْرِ، فُلانٌ، إذَا حَزِنَ، يَجِدُ وَجْدَاً، وَهُوَ لازِمٌ. والْخَامِسُ: الْحُبُّ، يُقَالُ: وَجَدَ بِفُلانَةٍ، وعَلَى فُلانَةٍ، وَجْدَاً شَدِيْدَاً، إذَا كَانَ يَهْوَاهَا ويُحِبُّهَا حُبَّاً شَدِيْدَاً، يَتَعَدَّى بالْبَاءِ وبِـ (عَلَى).[٣١]

السَّادِسُ: الْعِلْمُ، وَهُوَ الْمُتَعَدِّي إلَى اثْنَيْنِ[٣٢] ،ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَإنْ وَجَدْنَا أكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِيْنَ)[الأنعام/١٠٢]و(وَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى)[الضحى/٦و٨] و(إنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرَاً)[ص/٤٤]و(تَجِدُوْهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرَاً)[المزمل/٢٠]و(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءَاً أوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوْرَاً رَحِيْمَاً)[النساء/١١٠]، فَهُوَ فِي كُلِّهَا بِمَعْنَى(عَلِمَ)، وَقَالَ الرَّاغِبُ الأصْفَهَانِيُّ فِي الْمُفْرَدَاتِ: وَجَدَ اللهُ، بِمَعْنَى(عَلِمَ) حَيْثُمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ، ووَافَقَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ وغَيْرُهُ،[٣٣]ومِنْهُ ايْضَاً قَوْلُ خَدَّاشِ بْنِ زُهَيْرِ الْعَامِرِيِّ:
وَجَدْتُ اللهَ أكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ   مُحَاوَلَةً وأكْثَرَهُمْ جُنُوْدَاً
أيْ عَلِمْتُهُ كَذَلِكَ، وقَوْلُهُ:
فَلَمَّا بَلَغْنَا الأُمَّهَاتِ وَجَدْتُمُ   بَنِي عَمِّكُمْ كِرَامَ الْمَضَاجِعِ

لِكَوْنِ(وَجَدَ) بِمَعْنَى(عَلِمَ) أوْرَدَهُ النُّحَاةُ مَعَ أفْعَالِ الْعِلْمِ، أيِ الْيَقِيْنِ، ولَمْ يُفَرِّقُوْا بَيْنَهُ وبَيْنَ(عَلِمَ ودَرَى وتَعَلَّمْ وألْفَى) وفَرَّقَ الرَّضِي بَيْنَهَا، فَأخْرَجَ(وَجَدَ وألْفَى) وجَعَلَهُمَا نَوْعَاً قَائِمَاً بِنَفْسِهِ سَمَّاهُ

إِصَابَةَ الشَّيْءِ عَلَى صِفَةٍ، وتَبِعْتُهُ عَلَيْهِ، ولَعَلَّ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مَا لَمَسَهُ مِنْ فَرْقٍ دَقِيْقٍ بَيْنَ ذَيْنِ الْفِعْلَيْنِ وبَاقِي أفْعَالِ الْبَابِ، وإنْ لَمْ يُصَرِّحْ بِذلِكَ ولَمْ يُحَدِّدِ الْفَرْقَ، قَالَ:(وعُدَّا مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوْبِ لأنَّكَ إذَا وَجَدْتَ الشَّيْءَ عَلَى صِفَةٍ لَزِمَ أنْ تَعْلَمَهُ عَلَيْهَا بَعْدَ أنْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُوْمَاً)[34] ، وعِنْدِي أنَّ لِكُلِّ لَفْظٍ مَعْنَاهُ الْخَاصَّ بِهِ لا يَشْرَكُهُ فِيْهِ لَفْظٌ آخَرُ مَهْمَا كَانَ قَرِيْبَاً مِنْ مَعْنَاهُ، وعَلَيْهِ فَأنَّ(وَجَدَ) لَيْسَ بِمَعْنَى(عَلِمَ) عَلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ وَشَائِجَ مَعْنَوِيَّةٍ، وإنَّمَا هُوَ بِمَعْنَى: أَصَابَ، ويُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا بِالْمَفْعُوْلِ، كَمَا فُرِّقَ بِهِ بَيْنَ(عَلِمَ) و(عَرَفَ)، فَإنْ وَقَعَ الْوِجْدَانُ عَلَى ذَاتٍ فَهُوَ الْمُتَعَدِّي إِلَى وَاحِدٍ، نَحْوُ: وَجَدْتُ الشَّيْءَ، أيْ أصَبْتُهُ، فَقَدْ وَقَعَ الْوِجْدَانُ عَلَى ذَاتٍ، وإنْ وَقَعَ عَلَى مَعْنًى يَتَعَلَّقُ بِذَاتٍ سَابِقٍ عَلَيْهِ فَهُوَ الْمُتَعَدِّي إِلَى اثْنَيْنِ، تَحْوُ: وَجَدْتُ زَيْدَاً عَالِمَاً، أيْ أصَبْتُهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، فَقَدْ وَقَعَ عَلَى صِفَةٍ تَتَعَلَّقُ بِذَاتِ زَيْدٍ، فَالْوِجْدَانُ غَيْرُ الْعِلْمِ مَهْمَا قَرُبَ مَعْنَاهُمَا، يُقَوِّي قَوْلِيَ مَا ذَكَرَهُ أَبُوْ هِلالٍ الْعَسْكَرِيُّ:(أنَّ الْوِجْدَانَ فِي أصْلِ اللُّغَةِ لِمَا ضَاعَ أوْ لِمَا يَجْرِي مَجْرَى الضَّائِعِ فِي أنْ لا يُعْرَفَ مَوْضِعُهُ، وَهُوَ عَلَى خِلافِ النِّشْدَانِ، فَأُخْرِجَ عَلَى مِثَالِهِ، يُقَالُ: نَشَدْتُ الضَّالَّةَ، إذَا طَلَبْتَهَا، نِشْدَانَاً، فَإذَا وَجَدْتَهَا قُلْتَ: وَجَدْتُهَا وِجْدَانَاً... ثُمَّ قِيْلَ: يَجِدُ بِمَعْنَى: يَعْلَمُ... إلاَّ أَنَّهُ لا يُقَالُ لِلْمَعْدُوْمِ مَوْجُوْدٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ مَعْلُوْمٌ، وذَلِكَ أَنَّكَ لا تُسَمِّي وَاجِداً لِمَا غَابَ عَنْكَ، فَإنْ عَلِمْتَهُ فِي الْجُمْلَةِ فَذَلِكَ فِي الْمَعْدُوْمِ أَبْعَدُ... وهَذَا مِمَّا جَرَى عَلَى الشَّيْءِ اسْمُ مَا قَارَبَهُ وكَانَ مِنْ سَبَبِهِ، ومِنْ هُنَا يُفْرَقُ بَيْنَ الْوُجُوْدِ والْعِلْمِ).[35]

وأمَّا(أَلْفَى) فَهُوَ بِمَعْنَى: وَجَدَ، يُقَالُ: أَلْفَيْتُ فُلانَاً كَاذِبَاً، إذَا وَجَدْتَهُ كَذلِكَ،[36] ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(إنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّيْنَ)[الصافات/٦٩]، وقَوْلُ الشَّاعِرِ:

قَدْ جَرَّبُوْهُ فَأَلْفَوْهُ الْغَيْثَ إذَا مَا الرَّوْعُ عَمَّ فَلا يُلْوَى عَلَى أَحَدِ

أَثْبَتَهُ الْكُوْفِيُّوْنَ، وتَابَعَهُمْ ابْنُ مَالِكٍ، وأنْكَرَهُ الْبَصْرِيُّوْنَ، وقَالُوْا: الْمَنْصُوْبُ الثَّانِي حَالٌ، وخَرَّجُوْا الْبَيْتَ عَلَى زِيَادَةِ اللام[37] ، وَلا وَجْهَ لإنْكَارِهِمْ، فَهُوَ بِمَعْنَى(وَجَدَ)، ولَمْ أجِدْ فِيْمَا تَوافَرَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ فَرْقَاً بَيْنَهُمَا، فَمَا الْمَانِعُ مِنْ نَصْبِهِ الْمَفْعُوْلَيْنِ، لا سِيَّمَا السَّمَاعُ يَعْضِدُهُ؟ وَلا يُقَالُ: إنَّ(صَادَفَ) أيْضَاً بِمَعْنَى(وَجَدَ) فَلِمَ لا يُنْصَبُ بِهِ مَفْعُوْلانِ كَمَا نُصِبَا بِـ (وَجَدَ)؟ قُلْتُ: ذَلِكَ مَوْكُوْلٌ إِلَى الْعَرَبِ، إذْ لَمْ يَنْصِبُوْا بِهِ مَفْعُوْلَيْنِ كَمَا نَصَبُوْهُمَا بِـ (أَلْفَى)، وأيْضَاً جَاءَ(صَادَفَ) فِي كَلامِهِمْ بِمَعْنَى: لَقِيَ، وقَابَلَ، ووَافَقَ، وحَاذَى، يُقَالُ: صَادَفَ فُلانَاً، إذَا لَقِيَهُ، وقَابَلَهُ، ووَافَقَهُ، وحَاذَاهُ،[38] وَهُوَ فِي كُلِّ ذَا مُتَعَدٍّ إِلَى وَاحِدٍ، فِي حِيْنِ لَمْ يَأْتِ(أَلْفَى) إلاَّ بِمَعْنَى (وَجَدَ).

وأيْضَاً مَعْنَى قَوْلِنَا: أَلْفَيْتُ زَيْدَاً عَالِمَاً، ووَجَدْتُ زَيْدَاً عَالِمَاً، وَاحِدٌ، وَهُوَ: وَجَدْتُ عَالِمِيَّةَ زَيْدٍ، ولَسْتُ أدْرِي لِمَ يَكُوْنُ(عَالِمَاً) فِي الأوَّلِ حَالاً، وفِي الثَّانِي مَفْعُوْلاً ثَانِيَاً؟ وأيْضَاً كَيْفَ يَكُوْنُ حَالاً وَهُوَ صِفَةٌ لازِمَةٌ ثَابِتَةٌ لِزَيْدٍ، إذْ لا يُعْقَلُ أنْ يَكُوْنَ عَالِمَاً الْيَوْمَ وجَاهِلاً أَمْسِ أوْ غَدَاً، والْحَالُ، عِنْدَهُمْ، لَيْسَتْ بِلازِمَةٍ، ولَيْسَ ذَا مِنْ مَوَاضِعِ تَجْوِيْزِهِمْ مَجِيْئَهَا ثَابِتَةً لازِمَةً.[39]

الأوْلَى عِنْدِي أنْ يُقَالَ: إنَّ الْمَنْصُوْبَ الثَّانِي لِـ (أَلْفَى، ووَجَدَ) يَحْتَمِلُ الْحَالِيَّةَ والْمَفْعُوْلِيَّةَ، بِحَسَبِ الْمَعْنَى، فَلَوْ قُلْتَ: أَلْفَيْتُ زَيْدَاً كَاذِبَاً، ووَجَدْتُهُ كَاذِبَاً، فَإنْ أرَدْتَ الإخْبَارَ بِأنَّ الْكِذْبَ مُلازِمٌ لَهُ فَهُوَ مَفْعُوْلٌ ثَانٍ، والْمَعْنَى أنَّكَ أَلْفَيْتَ كِذْبَهُ ووَجَدْتَهُ، وإنْ أرَدْتَ أنَّكَ وَجَدْتَهُ، أيْ صَادَفْتَهُ عَلَى ذِي الْحَالِ، ولَيْسَ الْكِذْبُ صِفَةً مُلازِمَةً لَهُ فَهُوَ حَالٌ، والْمَعْنَى أنَّكَ أَلْفَيْتَهُ وَوَجَدْتَهُ عَلَى ذِي الْحَالِ، كَمَا لَوْ قُلْنَا: رَأَيْتُ رَجُلاً سَاقِيَاً، احْتَمَلَ(سَاقِيَاً) أنْ يَكُوْنَ حَالاً وأنْ يَكُوْنَ نَعْتَاً، بِحَسَبِ الْمَعْنَى، فَإذَا أَرَدْنَا النَّعْتَ كَانَ مَعْنَاهُ: رَأَيْتُ رَجُلاً مَعْرُوْفَاً بِالسَّقْيِ، أيْ أنَّ سِمَتَهُ وصِفَتَهُ السَّقْيُ، ولا يُشْتَرَطُ أنَّهُ كَانَ يَسْقِي وَقْتَ رُؤْيَتِي إيَّاهُ، إذْ يَجُوْزُ أَنَّهُ كَانَ يَسْقِي ويَجُوْزُ أيْضَاً أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْقِي، وأمَّا إذَا أَرَدْنَا الْحَالِيَّةَ كَانَ الْمَعْنَى أنِّي رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَسْقِي، أمَّا قَبْلَ رُؤْيَتِي إيَّاهُ رُبَّمَا كَانَ يَسْقِي ورُبَّمَا لا، ولا يَتَعَيَّنُ أنْ يَكُوْنَ عَمَلُهُ أوْ صِفَتُهُ السَّقْيَ،[40] ، ومَا قُلْنَاهُ هَهُنَا لا يُقَالُ فِي(عَلِمَ ودَرَى وتَعَلَّمْ) لأنَّ هَذِهِ الأفْعَالَ تَدُلُّ عَلَى يَقِيْنٍ، والْيَقِيْنُ ثَابِتٌ دَائِمٌ مُلازِمٌ، لِذَلِكَ جَعَلْنَاهُ ضَرْبَيْنِ كُلٌّ مِنْهُمَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ.

النَّوْعُ الأوَّلُ مِنَ الضَّرْبِ الثَّانِي، أعْنِي مَا كَانَ لِلظَّنِّ فَقَطْ، وَهُوَ: حَجَا، وخَالَ، وحَسِبَ، وهَبْ. يَنْصِبُ(حَجَا) مَفْعُوْلَيْنِ إنْ كَانَ بِمَعْنَى(ظَنَّ)[41] ، والظَّنُّ(ضَرْبٌ مِنْ أفْعَالِ الْقُلُوْبِ يَحْدُثُ

عِنْدَ بَعْضِ الأمَارَاتِ، وَهُوَ رُجْحَانُ أحَدِ طَرَفَي التَّجَوُّز)[٤٢] ، أوْ(هُوَ التَّرَدُّدُ الرَّاجِحُ بَيْنَ طَرَفَي الاعْتِقَادِ الْغَيْرِ الْجَازِم)[٤٣] ، أوْ(هُوَ شَكٌّ ويَقِيْنٌ إلاَّ أنَّهُ لَيْسَ بِيَقِيْنِ عِيَانٍ، إنَّمَا هُوَ يَقِيْنُ تَدبُّرٍ، فَأمَّا يَقِيْنُ الْعِيَانِ فَلا يُقَالُ فِيْهِ إلاَّ عَلِمَ)[٤٤] ، ومَتَى كَانَ(حَجَا) بِهَذَا الْمَعْنَى نَصَبَ مَفْعُوْلَيْنِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

قَدْ كُنْتُ أحْجُوْ أبَا عَمْرٍو أخَا ثِقَةٍ   حَتَّى ألَمَّتْ بِنَا يَوْمَاً مُلِمَّاتُ

ويُقَالُ: حَجَا الرَّجُلُ الْقَوْمَ كَذَا وكَذَا، يَحْجُوْ حَجْوَاً، إذَا ظَنَّهُمْ كَذَلِكَ.

وقَدْ يَتَعدَّى إلَي أحَدِ الْمَفْعُوْلَيْنِ بِنَفْسِهِ وإلَى الآخَرِ بالْبَاءِ، يُقَالُ: أنَا أحْجُوْ بِفُلانٍ خَيْرَاً، أيْ أظُنُّ،[٤٥] ولَمْ يَثْبُتْهُ النُّحَاةُ ولَمْ يَلْتَفِتُوْا إلَيْهِ، ولَعَلَّ ذَلِكَ لأنَّهُ لَيْسَ هُمْ مِمَّا فِيْهِ، أعْنِي لَيْسَ مِنْ ذَا الْبَابِ، وكَذَا لا يَكُوْنُ مِنْ ذَا الْبَابِ إذَا تَعدَّى إلَى وَاحِدٍ، وذَلِكَ إذَا كَانَ بِمَعْنَى(حَفِظَ)، يُقَالُ: هَذَا رَاعٍ لا يَحْجُوْ إبِلَهُ، أيْ لا يَحْفِظُهَا، ومَا حَجَوْتُ مِنْ فُلانٍ شَيْئَاً، أيْ مَا حَفِظْتُ مِنْهُ شَيْئَاً، وسِقَاءٌ لا يَحْجُوْ الْمَاءَ، أيْ لا يُمْسِكُهُ، أوْ إذَا كَانَ بِمَعْنَى(مَنَعَ)، يُقَالُ: حَجَوْتُ فُلانَاً مِنْ كَذَا، إذَا مَنَعْتُهُ مِنْهُ، ومِنْهُ سُمِّيَ الْعَقْلُ الْحِجَا، لأنَّهُ يَمْنَعُ الأنْسَانَ مِنَ الْفَسَادِ، أوْ إذَا كَانَ بِمَعْنَى(دَعَا)، يُقَالُ: حَجَا الْفَحْلُ الشُّوَّلَ، إذَا دَعَاهُ، وَذَلِكَ إذَا هَدَرَ فَعَرَفَتْ هَدِيْرَهُ فَانْصَرَفَتْ إلَيْهِ، أوْ إذَا كَانَ بِمَعْنَى(كَتَمَ)، يُقَالُ: حَجَا السِّرَّ، إذَا كَتَمَهُ، أوْ إذَا كَانَ بِمَعْنَى(سَاقَ)، يُقَالُ: حَجَتِ الرِّيْحُ السَّفِيْنَةَ، أيْ سَاقَتْهَا، ومِنْهُ الْحَدِيْثُ:(أقْبَلَتْ سَفِيْنَةٌ فَحَجَتْهَا الرِّيْحُ إلَى مَوْضِعِ كَذَا)، أيْ سَاقَتْهَا ورَمَتْ بِهَا إلَيْهِ، أوْ إذَا كَانَ بِمَعْنَى (غَلَبَ)، يُقَالُ: حَاجَيْتُهُ فَحَجَوْتُهُ، أيْ غَلَبْتُهُ فِي الْمُحَاجَاةِ، وقِيْلَ: دَاعَبْتُهُ فَغَلَبْتُهُ، وقِيْلَ: فَاطَنْتُهُ فَغَلَبْتُهُ، أوْ كَانَ بِمَعْنَى(قَصَدَ)، يُقَالُ: حَجَاهُ، إذَا قَصَدَهُ، أوْ كَانَ بِمَعْنَى(رَدَّ)، يُقَالُ: حَجَا فُلانَاً، إذَا رَدَّهُ، أوْ كَانَ بِمَعْنَى(اعْتَمَدَ)، يُقَالُ: حَجَاهُ، إذَا اعْتَمَدَهُ.

وقَدْ يَتَعدَّى إلَى وَاحِدٍ بالْبَاءِ، وَذَلِكَ إذَا كَانَ بِمَعْنَى(أقَامَ)، يُقَالُ: حَجَا بالْمَكَانِ، إذَا أقَامَ بِهِ، أوْ كَانَ بِمَعْنَى (بَخِلَ)، يُقَالُ: حَجَا بالشَّيْءِ، أيْ ظَنَّ بِهِ. وقَدْ يَكُوْنُ لازِمَاً، وذَلِكَ إذَا كَانَ بِمَعْنَى(وَقَفَ).[٤٦]

و(خَالَ) مِثْلُ(حَجَا) يَتَعدَّى إلَى مَفْعُوْلَيْنِ إذَا كَانَ بِمَعْنَى(ظَنَّ)، مُسْتَقْبَلُهُ يَخَالُ، ومَصْدَرُهُ: خَيْلاً، وخِيْلاً، وخَيَلانَاً ومَخَالَةً، وخِيَلَةً، وخَيْلَةً، وخِيْلَةً، وخَالاً، ومَخِيْلَةً، وخَيْلُوْلَةً، يُقَالُ: خِلْتُ فُلانَاً زَيْدَاً، أيْ ظَنَنْتُهُ زَيْدَاً قَالَ الشَّاعِرُ:

إخَالُكَ، إنْ لَمْ تَغْضُضِ الطَّرْفَ، ذَا هَوَى   يَسُوْمُكَ ما لا يُسْتَطَاعُ مِنَ الْوَجْدِ[٤٧]

وقَالَ الآخَرُ:

ضَعِيْفُ النِّكَايَةِ أعْدَاءَهُ   يَخَالُ الْفِرَارَ يُرَاخِي الأجَلْ

وعَلَى هَذَا الْمَعْنَى اقْتَصَرَ ابْنُ يَعِيْشَ وابْنُ عُصْفُوْرٍ والرَّضِي،[٤٨] وذَكَرَ غَيْرُهُمْ أنَّهُ قَدْ يَرِدُ بِمَعْنَى الْيَقِيْنِ [٤٩] مُسْتَدِلاًّ بِقَوْلِ النَّمِرِ بْنِ تَ◌وْلَ◌بٍ:

دَعَانِي الْغَوَانِي عَمَّهُنَّ، وخِلْتُنِي   لِي اسْمٌ، فَلا أُدْعَى بِهِ وَهُوَ أدَلُّ

وبِبَيْتٍ أنْشَدَهُ خَلَفٌ الأحْمَرُ مِنَ الْكُوْفِيِّيْنَ:

مَا خِلْتُنِي زِلْتُ بَعْدَكُمْ ضَمِنَاً   أشْكُوْ إلَيْكُمْ حُمُوَّةَ الألَمِ

لَمْ يَرِدْ(خَالَ) بِمَعْنَى الْيَقِيْنِ إلاَّ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، وقَالَ ابْنُ مَالِكٍ: وقَدْ تُسْتَعْمَلُ خَالَ لِلْيَقِيْنِ قَلِيْلاً [٥٠] ، ولَعَلَّ ابْنَ يَعِيْشَ وابْنَ عُصْفُوْرٍ والرَّضِي وغَيْرَهُمْ لَمْ يَعْتَدُّوْا بِهَذَا الْقَلِيْلِ فَاطَّرَحُوْهُ، وَهُوَ الْحَقُّ، إذْ لا يَجُوْزُ أنْ يُجْعَلَ الْقَلِيْلُ أصْلاً مَعَ عَدَمِ تَجَاوُزِ هَذَا الْقَلِيْلِ بَيْتَيْنِ لا يُعْرَفُ قَائِلُ أحَدِهِمَا.

ويُوَجَّهُ(خَالَ) إلَى مَعَانٍ أُخْرَى، فَلا يَفْتَقِرُ إلَى مَفْعُوْلَيْنِ بَلْ يَكْتَفِي بِمَفْعُوْلٍ وَاحِدٍ إذَا قِيْلَ: خَالَ الشَّيْءَ، أيْ لَزِمَهُ، وسَاسَهُ، ورَعَاهُ، وخَالَ فُلانٌ الشَّيْءَ، إذَا مَلَكَهُ، يُقَالُ: مَنْ خَالُ هَذَا الشَّيْءِ؟ أيْ مَنْ صَاحِبُهُ؟ وخَالَ الشَّيْءَ، إذَا قَطَعَهُ، وخَالَ فِيْمَا ذُكِرَ مُتَعدٍّ إلَى وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ، وقَدْ يَتَعَدَّى إلَيْهِ بالْحَرْفِ، يُقَالُ: خَالَ الرَّجُلُ عَلَى الْمَالِ، إذَا رَعَاهُ وأحْسَنَ الْقِيَامَ عَلَيْهِ.

ويَكُوْنُ لازِمَاً إذَا قِيْلَ: خَالَ الرَّجُلُ، إذَا تَوَهَّمَ، وتَكَبَّرَ، وأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ، وخَالَ الرَّجُلُ، إذَا كَانَ سَمْحَاً، وخَالَ الرَّجُلُ، أيْ فَرَغَ مِنْ عِلاقَةِ الْحُبِّ، وخَالَ الرَّجُلُ، إذَا عَزَبَ، أيْ كَانَ عَزَبَاً، وخَالَ الرَّجُلُ، إذَا ضَعُفَ جِسْمُهُ وقَلْبُهُ، وخَالَ الرَّجُلُ، أيْ بَرِئَ مِنَ التُّهْمَةِ، وكَانَ حَسَنَ الْمَخِيْلَةِ بِمَا

يُتَخَيَّلُ فِيْهِ، أيْ يُتَفَرَّسُ ويُتَفَطَّنُ، وخَالَ الرَّجُلُ، أي افْتَقَرَ، ومَضَى، وخَالَ الرَّجُلُ، ضِدُّ عَمَّ، أيْ خَصَّ، يُقَالُ: خَالَ فِي دُعَائِهِ، إذَا خَصَّ ولَمْ يَعِمَّ، وخَالَ، إذا هُزِلَ، أيْ ضِدُّ سَمِنَ، وخَالَ الشَّيْءُ، إذَا تَفَرَّقَ، وخَالَ الْفَرَسُ وغَيْرُهُ مِنَ الدَّوَابِّ، أيْ ضَلَعَ، وخَالَ السَّحَابُ، إذَا لَمْ يُخْلِفْ مَطَرَهُ، أوْ إذَا رَأَيْتَهُ حَسِبْتَهُ مَاطِرَاً ولا مَطَرَ فِيْهِ، وخَالَ الْجَبَلُ، إذَا كَانَ ضَخْمَاً، وكَذَلِكَ الْبَعِيْرُ، يَخَالُ خَالاً، فِي الْكُلِّ، أعْنِي فِي الْمُتَعَدِّي إلَى وَاحِدٍ واللازِمِ.[٥١]

يَتَعَدَّى(حَسِبَ) إلَى مَفْعُوْلَيْنِ إنْ أفَادَ الظَّنَّ، يُقَالُ: حَسِبَ الشَّيْءَ كَائِنَاً، إذَا ظَنَّهُ كَذَلِكَ، يَحْسَبُ، بالْفَتْحِ، ويَحْسِبُ، بالْكَسْرِ، حِسَابَاً، ومَحْسَبَةً، وحِسْبَانَاً، ومَحْسِبَةً، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ)[البقرة/٢٧٣]و(وَيَحْسَبُوْنَ أنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ)[المجادلة/١٨]و(الَّذِيْنَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ أنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعَاً)[الكهف/١٠٤]و(وَتَحْسَبُهُمْ أيْقَاضَاً وَهُمْ رُقُوْدٌ)[الكهف/١٨]وقَوْلُ زُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ الْكِلابِيِّ:

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً   عَشِيَّةَ لاقَيْنَا جُذَامَ وحِمْيَرَا

لَمْ يَذْكُرِ ابْنُ يَعِيْشَ وابْنُ عُصْفُوْرٍ والرَّضِي لِـ (حَسِبَ) الْمُتَعَدِّي إلَى مَفْعُوْلَيْنِ مَعْنًى آخَرَ[٥٢]، وذَكَرَ غَيْرُهُمْ أنَّهُ قَدْ يَرِدُ قَلِيْلاً بِمَعْنَى الْيَقِيْنِ[٥٣]، اسْتِدْلالاً بِقَوْلِ لَبِيْدِ بْنِ رَبِيْعَةَ الْعَامِرِيِّ:

حَسِبْتُ التُّقَى والْجُوْدَ خَيْرَ تِجَارَةٍ   رَبَاحَاً إذَا مَا الْمَرْءُ أصْبَحَ ثَاقِلاً

وقَوْلِ النَّمِرِ بْنِ تَوْلَبٍ:

شَهِدْتُ وَفَاتُوْنِي وكُنْتَ حَسِبْتَنِي   فَقِيْرَاً إلَى أنْ يَشْهَدُوْا وتَغْيِيْبِي

لَمْ تَحْفَظْ كُتُبُ اللُّغَةِ لِـ (حَسِبَ) هَذَا الْمَعْنَى، ولَعَلَّ لَبِيْدَاً والنَّمِرَ ضَمَّنَا(حَسِبْتُ) مَعْنَى(عَلِمْتُ)، والتَّضْمِيْنُ لا يَنْبَغِي أنْ يُجْعَلَ أصْلاً يُقَاسُ عَلَيْهِ.

وإذَا كَانَ(حَسِبَ) بِمَعْنَى(عَدَّ) لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَا الْبَابِ، وإنَّمَا يَكُوْنُ مُتَعَدِّيَاً إلَى وَاحِدٍ، يُقَالُ: حَسِبَ الشَّيْءَ، إذَا عَدَّهُ، يَحْسَبُ حِسَابَاً.

ويَكُوْنُ لازِمَاً إذَا كَانَ دَالاًّ عَلَى الشُّقْرَةِ، يُقَالُ: حَسِبَ الْبَعِيْرُ، إذَا كَانَ فِيْهِ بَيَاضٌ وحُمْرَةٌ وسَوَادٌ، وحَسِبَ الرَّجُلُ، إذَا كَانَ فِي شَعَرِ رَأْسِهِ شُقْرَةٌ، يَحْسَبُ حَسَبَاً.[٥٤]

أمَّا(هَبْ) بِمَعْنَى: ظُنَّ أو احْسِ◌َبْ، بالْفَتْحِ والْكَسْرِ، فَهُوَ جَامِدٌ، لا يُسْتَعْمَلُ مِنْهُ مُسْتَقْبَلٌ ولا مَاضٍ، ويَتَّصِلُ بِهِ ضَمِيْرُ الْمُتَكَلِّمِ والْمُؤَنَّثِ والْمُثَنَّى والْجَمْعِ، ومِنْهُ قَوْلُ ابْنِ هَمَّامٍ السَّلُوْلِيِّ:

فَقُلْتُ أجِرْنِي أبَا مَالِكٍ   وإلاَّ فَهَبْنِي امْرَأً هَالِكَاً

وقَوْلُ أبِي دِعْبِلٍ الْجُمُحِيِّ:

هَبُوْنِي امْرَأً مِنْكُمْ أضَلَّ بَعِيْرَهُ   لَهُ ذِمَّةٌ إنَّ الذِّمَامَ كَثِيْرُ

وقَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ أُذَيَّةَ:

إذَا وَجَدْتُ أوَارَ الْحُبِّ فِي كَبِدِي   أقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ ابْتَرِدُ
هَبْنِي بَرَدْتُ بِبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرَهِ   فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الأحْشَاءِ تَتَّقِدُ

ويَتَعَدَّى إلَى صَرِيْحِ الْمَفْعُوْلَيْنِ، وأمَّا وُقُوْعُهُ عَلَى(أنَّ) الْمُشَدَّدَةِ وصِلَتِهَا فَقَدِ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ، فَذَهَبَ أكْثَرُهُمْ إلَى تَجْوِيْزِهِ، بِقِلَّةٍ، قِيَاسَاً وسَمَاعَاً،[٥٥] فَأمَّا الْقِيَاسُ فَعَلَى(احْسَ◌ِبْ)، لأنَّهُ بِمَعْنَاهُ، وأمَّا السَّمَاعُ فَلِمَجِيْئِهِ فِي حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّهُ قَالَ:(هَبُوْا أنَّ أبَاهُمْ كَانَ حِمَارَاً....الْحَدِيْث)[٥٦]، وأنْكَرَهُ ابْنُ سِيْدَه، قَالَ:(هَبْنِي فَعَلْتُ ذَلِكَ، أي احْسِ◌َبْنِي واعْدُدْنِي، ولا يُقَالُ: هَبْ أنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ)[٥٧]، وقَالَ الْحَرِيْرِيُّ:(يَقُوْلُوْنَ: هَبْ أنِّي فَعَلْتُ، وهَبْ أنَّهُ فَعَلَ، والصَّوَابُ إلْحَاقُ الضَّمِيْرِ الْمُتَّصِلِ بِهِ، فَيُقَالُ: هَبْنِي فَعَلْتُ، وهَبْهُ فَعَلَ).[٥٨]

قِيَاسُ الْمُجِيْزِيْنَ(هَبْ) عَلَى(احْسَ◌ِبْ) فَاسِدٌ، لأنَّ وُقُوْعَ(حَسِبَ) عَلَى(أنَّ) الْمُشَدَّدَةِ وصِلَتِهَا لا يَعْنِي بالضَّرُوْرَةِ وُقُوْعَ(هَبْ) أيْضَاً عَلَيْهَا، ألا تَرَى أنَّ(دَرَى) بِمَعْنَى(عَلِمَ)، و(تَعَلَّمْ) بِمَعْنَى(اعْلَمْ) لا يَنْصِبَانِ صَرِيْحَ الْمَفْعُوْلَيْنِ كَمَا يَنْصِبُهُمَا(عَلِمَ)، فَلَوْ كَانَ الْقِيَاسُ هُنَا جَائِزَاً فَلْيَجُزْ قِيَاسَاً أيْضَاً نَصْبُ(دَرَى وتَعَلَّمْ) صَرِيْحَ الْمَفْعُوْلَيْنِ، ولَمْ يَقِسْ أحَدُهُمْ عَلَيْهِ، فَلِمَ الْقِيَاسُ هُنَا؟

وأيْضَاً أنَّ اللُّغَةَ لا تُؤْخَذُ قِيَاسَاً، كَمَا قَرَّرُوْا. وأمَّا السَّمَاعُ فَلَمْ يَرِدْ إلاَّ فِيْمَا رُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابتٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ حَدِيْثٌ مَرْوِيٌّ بِمَعْنَاهُ لا بِلَفْظِهِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ اخْتِلافُ لَفْظِهِ عَلَى ثَلاثَةِ أوْجُهٍ، الأَوَّلُ: مَا ذُكِرَ، والثَّانِي: هَبْ أنَّ أبَانَا كَانَ حِمَارَاً،[59] والثَّالِثُ: هَبْ أنَّ أبَانَا حِمَارٌ،[60] ومَا رُوِيَ بالْمَعْنَى لا يَقُوْمُ حُجَّةً، وأيْضَاً أنَّ بَعْضَهُمْ رَوَاهُ عَنْ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،[61] واللهُ أعْلَمُ.

أمَّا(هَبْ) أمْرَاً مِنْ: وَهَبَ يَهَبُ وَهْبَاً، ووَهَبَاً، وهِبَةً، فَهُوَ مُتَعَدٍّ إلَى وَاحِدٍ، يُقَالُ: وَهَبَهُ لَهُ، ولا يُقَالُ: وَهَبَكَهُ، مُتَعَدِّيَاً إلَى اثْنَيْنِ، وحَكَى السَّيْرَافِيُّ عَنْ سِيْبَوَيْهِ عَنْ أعْرَابِيٍّ سَمِعَهُ يَقُوْلُ لآخَرَ: انْطَلِقْ مَعِي أهَبْكَ نَبْلاً.[62]

يُلْحَقُ بِهَذِهِ الأفْعَالِ الأرْبَعَةِ فِي إفَادَةِ الظَّنِّ(أُرَى) الْمَبْنِيُّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ مِنْ(أرَى) الْمُتَعَدِّي إلَى ثَلاثَةِ مَفَاعِيْلَ، والْمَنْقُوْلُ مِنْ(رَأَى) بِمَعْنَى(عَلِمَ) الْمُتَعَدِّي إلَى مَفْعُوْلَيْنِ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ هَمْزَةُ النَّقْلِ فَعَدَّتْهُ إلَى ثَلاثَةٍ، نَحْوُ: أرَانِي زَيْدٌ عَمْرَاً مُنْطَلِقَاً، أيْ أعْلَمَنِي زَيْدٌ عَمْرَاً مُنْطَلِقَاً، فَإذَا بُنِيَ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ أُقِيْمَ الْمَفْعُوْلُ الأوَّلُ، وَهُوَ الْيَاءُ، مُقَامَ الْفَاعِلِ، ونُصِبَ الْمَفْعُوْلانِ الثَّانِي والثَّالِثُ، فَنَقُوْلُ: أُرِيْتُ عَمْرَاً مُنْطَلِقَاً، بِمَعْنَى: ظَنَنْتُ عَمْرَاً مُنْطَلِقَاً، لأنَّهُ إذَا أظَنَّكَ غَيْرُكَ فَقَدْ ظَنَنْتَ، لِذَلِكَ تَقُوْلُ: أُرَى زَيْدَاً مُنْطَلِقَاً، بِمَعْنَى: ظَنَنْتُ، وأكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ مَعَ الْمُتَكَلِّمِ، ولا يَكُوْنُ بِمَعْنَى(عَلِمَ) وإنْ كَانَ(أرَيْتُ) بِمَعْنَى(أعْلَمْتُ).[63]

النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الضَّرْبِ الثَّانِي، وَهُوَ الدَّالُّ عَلَى ظَنٍّ ويَقِيْنٍ، والْمُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ(ظَنَّ).

وَرَدَ(ظَنَّ) فِي كَلامِ الْعَرَبِ عَلَى ثَلاثَةِ أوْجُهٍ، الأوَّلُ: وَهُوَ الْغَالِبُ، الظَّنُّ، وَهُوَ رُجْحَانُ أحَدِ طَرَفَي التَّجْوِيْزِ، أيْ تَرَجُّحُ أحَدِ الدَّلِيْلَيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ عَلَى الآخَرِ، وَمَتَى كَانَ كَذَلِكَ يَدْخُلُ عَلَى الْمُبْتَدَأ والْخَبَرِ فَيَنْصِبُهُمَا إنْ تَجَرَّدَا مِنْ(أنَّ)، لأنَّ مَعْنَاهُ يَصِيْرُ مُتَعَلِّقَاً بِهِمَا، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(إنَّهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُوْرَ)[الانشقاق/١٤]وقَوْلُهُ(إنْ نَظُنُّ إلاَّ ظَنَّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِيْنَ)[الجاثية/٣٢]وقَوْلُ الشَّاعِرِ:

ظَنَنْتُكَ إنْ شُبْتَ لَظَى الْحَرْبِ صَالِيَاً   فَعَرَّدْتَ فِيْمَنْ كَانَ عَنْهَا مُعَرِّدَا

والثَّانِي: الْيَقِيْنُ، أي الْعِلْمُ، وذَلِكَ حِيْنَ يَقْوَى الرَّاجِحُ فِي نَظَرِ الْمُتَكَلِّمِ فَيَذْهَبُ بِهِ مَذْهَبَ الْيَقِيْنِ، فَيَجْرِي مَجْرَى(عَلِمَ) فَيَقْتَضِي مَفْعُوْلَيْنِ أيْضَاً، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَرَأَى الْمُجْرِمُوْنَ النَّارَ فَظَنُّوْا أنَّهُمْ مُوَاقِعُوْهَا)[الكهف/٥٣]و(إنِّي ظَنَنْتُ أنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ)[الحاقة/٢٠]و(الَّذِيْنَ يَظُنُّوْنَ أنَّهُمْ مُلاقُوْ رَبِّهِمْ)[البقرة/٤٦]و(ظَنُّوْا أنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إلاَّ إلَيْهِ) [التوبة/١١٨]و(وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُوْدُهُ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وظَنُّوَا أنَّهُمْ إلَيْنَا لا يُرْجَعُوْنَ)[القصص/٣٩]، وحَدِيْثُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ:(وَظَنَنَّا أنْ لَمْ يَجُدْ عَلَيْهِمَا)، أيْ عَلِمْنَا، وحَدِيْثُ عُبَيْدَةَ، عَنْ أنَسٍ: (سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى" أوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ "[النساء/٤٣والمائدة/٦]فَأشَارَ بِيَدِهِ، فَظَنَنْتُ مَا قَالَ)، أيْ عَلِمْتُ، وقَوْلُ دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوْا بِألْفَيْ مُدَجَّجٍ   سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ

أيْ تَيَقَّنُوْا، لأنَّ تَخْوِيْفَ الْعَدُوِّ يَكُوْنُ بالْيَقِيْنِ لا بالشَّكِّ.

وَمَجِيْءُ الظَّنِّ بِمَعْنَى الْيَقِيْنِ قَلِيْلٌ، ولا الْتِفَاتَ لِمَنْ جَعَلَ الرُّجْحَانَ والْيَقِيْنَ سَوَاءً، قَالَ الأزْهَرِيُّ فِي تَهْذِيْبِ اللُّغَةِ:(الظَّنُّ يَقِيْنٌ وشَكٌّ)،[64] ، يُرِيْدُ أنَّهُمَا سَوَاءٌ، وإلَى مِثْلِهِ أوْ قَرِيْبٍ مِنْهُ ذَهَبَ ابْنُ مَالِكٍ فَقَالَ: اسْتِعْمَالُ ظَنَّ فِي غَيْرِ الْيَقِيْنِ مَشْهُوْرٌ، وَفِي الْيَقِيْنِ كَثِيْرٌ[65] ، ولَيْسَ كَذَلِكَ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ:(الظَّنُّ مَعْرُوْفٌ، وَقَدْ يُوْضَعُ مَوْضِعَ الْعِلْمِ)[66] ، يَعْنِي أنَّ مَجِيْئَهُ بِمَعْنَى الْيَقِيْنِ قَلِيْلٌ بِدَلالَةِ(قَدْ)، وعِنْدَ الرَّضِيِّ وآخَرِيْنَ يَحْتَمِلُ الْيَقِيْنَ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ[67] ، وَهُوَ الْحَقُّ، والدَّلِيْلُ عَلَى قِلَّتِهِ أنَّهُ لَمْ يُشْتَقَّ مِنَ الظَّنِّ مَا هُوَ بِمَعْنَى الْيَقِيْنِ إلاَّ لَفْظٌ وَاحِدٌ، يُقَالُ: مَوْضِعُ كَذَا مَظِنَّةٌ مِنْ فُلانٍ، أيْ مُعْلَمٌ مِنْهُ، قَالَ النَّابِغَةُ:

فَإنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلاً   فَإنَّ مَظِنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

والْمَظِنَّةُ مَفْعِلَةٌ مِنَ الظَّنِّ بِمَعْنَى الْعِلْمِ، وكَانَ الْقِيَاسُ فَتْحَ الظَّاءِ، وإنَّمَا كُسِرَتْ لأجْلِ الْهَاءِ.[68]

وأمَّا الْمُشْتَقُّ مِنْهُ بِمَعْنَى الظَّنِّ فَكَثِيْرٌ، يُقَالُ للرَّجُلِ الضَّعِيْفِ: الظَّنُوْنُ، ومِنْهُ قَوْلُ بَعْضِ قُضَاعَةَ: رُبَّمَا دَلَّكَ عَلَى الرَّأْيِ الظَّنُوْنُ، قِيْلَ: الظَّنُوْنُ الْقَلِيْلُ الْحِيْلَةِ. والظَّنُوْنُ الرَّجُلُ السَّيِّءُ الظَّنِّ بِكُلِّ أحَدٍ. ورَجُلٌ ظَنُوْنٌ، أيْ قَلِيْلُ الْخَيْرِ. ومَنِيَّةٌ ظَنُوْنٌ، أيْ قَلِيْلَةُ الْخَيْرِ والْجَدْوَى. ورَجُلٌ ظَنُوْنٌ، أَيْ لا يُوْثَقُ بِخَيْرِهِ، وكُلُّ مَا لا يُوْثَقُ بِهِ مِنْ مَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ فَهُوَ ظَنُوْنٌ وظَنِيْنٌ، وعِلْمُهُ بالشَّيْءِ ظَنُوْنٌ، أيْ لا يُوْثَقُ بِهِ. والظَّنُوْنُ الْبِئْرُ لا يُدْرَى أ فِيْهَا مَاءٌ أمْ لا، وقِيْلَ: هِيَ الَّتِي يُظَنُّ أنَّ فِيْهَا مَاءً، وقِيْلَ: الَّتِي لا يُوْثَقُ بِمَائِهَا. والظَّنُوْنُ مِنَ الدُّيُوْنِ مَا لا يُدْرَى أ يَقْضِيْهِ آخِذُهُ أمْ لا، ومِنْهُ حَدِيْثُ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ:(لا زَكَاةَ فِي الدَّيْنِ الظَّنُوْنِ).

ومَظِنَّةُ الشَّيْءِ، ومَظَنَّتُهُ، ومِظَنَّتُهُ، مَوْضِعٌ يُظَنُّ فِيْهِ وُجُوْدُهُ. والظَّنِيْنُ الضَّعِيْفُ. والظَّنِيْنُ الْمُعَادِي لِسُوْءِ ظَنِّهِ وسُوْءِ الظَّنِّ بِهِ. والظَّنِيْنُ الَّذِي تَسْأَلُهُ وتَظُنُّ بِهِ الْمَنْعَ فَيَكُوْنُ كَمَا ظَنَنْتَ. والظِّنَّةُ الْقَلِيْلُ مِنَ الشَّيْءِ. والظَّنَّانُ والظُّنَنُ الْكَثِيْرُ الظُّنُوْنِ. ويُقَالُ: اظْطَنَّ الشَّيْءَ، إذَا ظَنَّهُ، وأظْنَنْتُهُ الشَّيْءَ، أيْ أوْهَمْتُهُ إيَّاهُ.[٦٩]

وكَذَا لا الْتِفَاتَ لِمَنْ أنْكَرَ مَجِيْئَهُ بِمَعْنَى الْيَقِيْنِ زَاعِماً أنَّ اسْتِعْمَالَهُ بِهَذَا الْمَعْنَى غَيْرُ مَشْهُوْرٍ فِي كَلامِ الْعَرَبِ.[٧٠]

والْوَجْهُ الثَّالِثُ: الاتِّهَامُ،وذَلِكَ عِنْدَمَا يَقْوَى الشَّكُّ فَيَصِيْرُ فِي مَعْنَى الْوَهْمِ، فَيَكْتَفِي بِمَفْعُوْلٍ وَاحِدٍ، ومَعْنَى الاتِّهَامِ أنْ تَجْعَلَ شَخْصاً مَوْضِعَ الظَّنِّ السَّيِّءِ، يُقَالُ: اتَّهَمَهُ بِكَذَا، إذَا أدْخَلَ عَلَيْهِ التُّهَمَةَ، أيْ مَا يُتَّهَمُ بِهِ، أيْ ظَنَّ فِيْهِ مَا نُسِبَ إلَيْهِ، تَقُوْلُ: ظَنَنْتُ زَيْداً، أي اتَّهَمْتُهُ، أيْ ظَنَنْتُ أنَّهُ فَعَلَ سَيِّئاً[٧١]، ومِنْهُ: قُرِئَ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِيْنٍ)[التكوير/٢٤][٧٢]، ومِنْهُ الْحَدِيْثُ:(لا تَجُوْزُ شَهَادَةُ ظَنِيْنٍ)، أيْ مُتَّهَمٍ فِي دِيْنِهِ، ومِنْهُ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ سِيْرِيْنَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:(لَمْ يَكُنْ عَلِيٌّ يُظَنُّ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ، وكَانَ الَّذِي يُظَنُّ فِي قَتْلِهِ غَيْرُهُ)[٧٣] ، أيْ لَمْ يَكُنْ يُتَّهَمُ، وقَالَ الشَّاعِرُ:

فَلا وَيَمِيْنُ اللهِ لا عَنْ جِنَايَةٍ   هُجِرْتُ وَلَكِنَّ الظَّنِيْنَ ظَنِيْنُ

النَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ الضَّرْبِ الثَّانِي: الاعْتِقَادُ، وَهُوَ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ، الأوَّلُ: الاعْتِقَادُ الْجَازِمُ فِي شَيْءٍ أنَّهُ عَلَى صِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، سَوَاءٌ كَانَ مُطَابِقاً أوْ لا، وَهُوَ: رَأَى. ذَكَرَ النُّحَاةُ أنَّ(رَأَى) يَتَعَدَّى إلَى مَفْعُوْلَيْنِ إذَا كَانَ بِمَعْنَى: ظَنَّ أوْ عَلِمَ[٧٤]، فَمِنَ الأوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى(إنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيْداً)[المعارج/٦]، أيْ يَظُنُّوْنَهُ، ومِنَ الثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى(ونَرَاهُ قَرِيْباً)[المعارج/٧]، أيْ ونَعْلَمُهُ قَرِيْباً، لأنَّ اللهَ تَعَالَى عَالِمٌ بالأشْيَاءِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ ولا حِسْبَانٍ، وقَوْلُ خَدَّاشٍ:

رَأَيْتُ اللهَ أكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ   مُحَاوَلَةً وأكْثَرَهُمْ جُنُوْداً

قَالَ الرَّاغِبُ الأصْفَهَانِيُّ[٧٥]:الرُّؤْيَةُ إدْرَاكُ الْمَرْئِيِّ، وَذَلِكَ أضْرُبٌ بِحَسَبِ قُوَى النَّفْسِ، الأوَّلُ: النَّظَرُ بِالْعَيْنِ الَّتِي هِيَ الْحَاسَّةُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا، وَمِنَ الأخِيْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَقُلِ اعْمَلُوْا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ ورَسُوْلُهُ)[التوبة/١٠٥]فَإنَّهُ مِمَّا أُجْرِيَ مُجْرَى الرُّؤْيَةِ بِالْحَاسَّةِ، فَإنَّ الْحَاسَّةَ لا تَصِحُّ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى(يَرَاكُمْ هُوَ وقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ)[الأعراف/٢٧].

والثَّانِي: بالْوَهْمِ والتَّخَيُّلِ، نَحْوُ: أرَى أنَّ زَيْداً مُنْطَلِقٌ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَلَوْ تَرَى إذْ يَتَوَفَّى الَّذِيْنَ كَفَرُوْا)[الأنفال/٥٠].

والثَّالِثُ: بالتَّفَكُّرِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى(إنِّي أرَى مَا لا تَرَوْنَ)[الأنفال/٤٨].

والرَّابِعُ: بالْقَلْبِ، أيْ بالْعَقْلِ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)[النجم/١١]وقَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى)[النجم/١٣].

وقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الرُّؤْيَةُ بالْعَيْنِ تَتَعَدَّى إلَى مَفْعُوْلٍ وَاحِدٍ، وبِمَعْنَى الْعِلْمِ تَتَعَدَّى إلَى مَفْعُوْلَيْنِ، يُقَالُ: رَأَيْتُ زَيْداً عَالِماً.[٧٦] وقَالَ الرَّاغِبُ:(رَأَى إذَا عُدِّيَ إلَى مَفْعُوْلَيْنِ اقْتَضَى مَعْنَى الْعِلْمِ).[٧٧] كَلامُ الرَّاغِبِ والْجَوْهَرِيِّ، وغَيْرِهِمَا مِنْ أئِمَّةِ اللُّغَةِ، مَبْنِيٌّ عَلَى كَلامِ النَّحْوِيِّيْنَ، ولَمْ يُبْعِدْ صَاحِبُ الْفُرُوْقِ اللُّغَوِيَّةِ عَمَّا قَرَّرَهُ أهْلُ النَّحْوِ، قَالَ:(الرُّؤْيَةُ فِي اللُّغَةِ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ، أحَدُهَا: الْعِلْمُ... والآخَرُ: الظَّنُّ... واسْتِعْمَالُ الرُّؤْيَةِ فِي هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ مَجَازٌ. والثَّالِثُ: رُؤْيَةُ الْعَيْنِ، وَهِيَ حَقِيْقَةٌ).[٧٨]

ذَكَرْنَا أنَّ أفْعَالَ الْقُلُوْبِ إنَّمَا تَقْتَضِي مَفْعُوْلَيْنِ لأنَّهَا أفْعَالٌ تَقَعُ فِي النَّفْسِ، ولَيْسَ لِلْحَوَاسِّ حَظٌّ فِيْهَا، ومَتَى وَقَعَ فِعْلٌ مِنْهَا بِحَاسَّةٍ تَعَدَّى إلَى وَاحِدٍ، والْفِعْلُ(رَأَى) يَتَعَدَّى إلَى اثْنَيْنِ إنْ كَانَ مِنْ رُؤْيَةِ الْقَلْبِ، فَإنْ كَانَ مِنْ رُؤْيَةِ الْحَاسَّةِ، أيِ الْبَصَرِ، تَعَدَّى إلَى وَاحِدٍ.

ذَهَلَ أهْلُ اللُّغَةِ عَمَّا اصَّلَهُ أهْلُ النَّحْوِ وقَرَّرُوْهُ، فَقَالُوْا، كَمَا مَرَّ، الرُّؤْيَةُ عَلَى أرْبَعَةِ أضْرُبٍ بِحَسَبِ قُوَى النَّفْسِ، رُؤْيَةٌ بِالْعَيْنِ، وبِالْوَهْمِ والتَّخَيُّلِ، وبِالتَّفَكُّرِ، وبِالْقَلْبِ، و(رَأَى) فِي الأضْرُبِ جَمِيْعِهَا مُتَعَدٍّ إلَى وَاحِدٍ، والأضْرُبُ، مَا عَدَا الأوَّلَ، وَاقِعَةٌ فِي النَّفْسِ، ولَمْ تَتَعَدَّ إلَى اثْنَيْنِ عَلَى مَا قَرَّرَهُ أهْلُ النَّحْوِ، وأيْضَاً هَذَا الَّذِي أصَّلَهُ أهْلُ النَّحْوِ، يَعْتَرِضُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ)[آل عمران/١٣]، فَقَدْ تَعَدَّى(يَرَى) إلَى مَفْعُوْلَيْنِ، وَهُوَ مِنْ رُؤْيَةِ الْعَيْنِ.[٧٩]

الرُّؤْيَةُ الْبَاطِنَةُ عِنْدَ الرَّضِي لَيْسَتْ بِمَعْنَى الْعِلْمِ أوِ الظَّنِّ، وإنَّمَا هِيَ بِمَعْنَى(الاعْتِقَادِ الْجَازِم فِي شَيْءٍ فِي أنَّهُ عَلَى صِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، سَوَاءٌ كَانَ مُطَابَقَاً أوْ لا، فَإذَا كَانَ بِالْمَعْنَى الْمَذْكُوْرِ، ووَلِيَتْهُ الاسْمِيَّةُ الْمُجَرَّدَةُ مِنْ أنَّ نَصبَ جُزْأَيْهَا، نَحْوُ: رَأَيْتُ زَيْدَاً غَنِيَّاً، سَوَاءٌ كَانَ فِي نَفْسِ الأمْرِ غَنِيَّاً أوْ لا، قَالَ تَعَالَى" إنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيْدَاً "، وَهُوَ غَيْرُ مُطَابِق، و" نَرَاهُ قَرِيْبَاً "، وَهُوَ مُطَابِقٌ).[٨٠]

عِنْدِي أنَّ قَوْلَ الرَّضِي هُوَ الْحَقُّ، ألا تَرَى أنَّهُ إذَا قُلْنَا: رَأَيْتُ زَيْدَاً كَاذِبَاً، احْتَمَلَ أنْ يَكُوْنَ الْمَعْنَى: عَلِمْتُهُ كَاذِبَاً، واحْتَمَلَ أيْضَاً أنْ يَكُوْنَ: ظَنَنْتُهُ كَاذِبَاً، فَهُوَ مُلْبِسٌ، وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ فِي مِثْلِ ذَا الْمَوْضِعِ أنْ يَضَعُوْا عَلامَةً تَدْفَعُ اللَّبْسَ، كَمَا وَضَعُوْا اللامَ عَلامَةً تَفْرُقُ بَيْنَ إنِ النَّافِيَةِ والْخَفِيْفَةِ مِنَ الثَّقِيْلَةِ، فَقَالُوْا: إذَا خُفِّفَتْ(إنَّ) أُهْمِلَتْ غَالِبَاً، ولَزِمَتْهَا اللامُ فَارِقَةً بَيْنَهَا وبَيْنَ(إنْ) النَّافِيَةِ، نَحْوُ: إنْ زَيْدٌ لَقَائِمٌ، وَقَدْ تُعْمَلُ، نَحْوُ: إنْ زَيْدَاً قَائِمٌ، فَلا تَلْزَمُهَا اللامُ حِيْنَئِذٍ، لأنَّهَا لا تَلْتَبِسُ والْحَالَةُ هَذِهِ بِالنَّافِيَةِ، لأنَّهَا لا تَنْصِبُ الاسْمَ ولا تَرْفَعُ الْخَبَرَ، ولَمَّا لَمْ يَضَعُوْا هَهُنَا عَلامَةً تُمَيِّزُ أحَدَهُمَا مِنَ الآخَرِ دَلَّ أنَّ(رَأَى) لَيْسَ كَمَا زَعَمُوْا، ولا سِيَّمَا أنَّ اسْتِعْمَالَهُ بِهَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ مَجَازٌ، والْغَرَضُ مِنَ الْمَجَازِ التَّوَسُّعُ فِي اللُّغَةِ، والتَّوَسُّعُ جَائِزٌ ووَارِدٌ إلاَّ إذَا أفْضَى إلَى اللَّبْسِ. وأيْضَاً أنَّ مَعْنَى الاعْتِقَادِ أوْسَعُ وأشْمَلُ وأعْمَقُ مِنْ مَعْنَى الْعِلْمِ، قَالَ أبُوْ هِلالِ الْعَسْكَرِيِّ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الاعْتِقَادِ والْعِلْمِ:(إنَّ الاعْتِقَادَ اسْمٌ لِجِنْسِ الْفِعْلِ عَلَى أيِّ وَجْهٍ وَقَعَ اعْتِقَادُهُ، والأصْلُ فِيْهِ أنَّهُ مُشَبَّهٌ بِعَقْدِ الْحَبْلِ والْخَيْطِ، فَالْعَالِمُ بِالشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ كَالْعَاقِدِ الْمُحْكِمِ لِمَا عَقَدَهُ، ومِثْلُ ذَلِكَ تَسْمِيَتُهُمْ الْعِلْمَ بِالشَّيْءِ حِفْظَاً لَهُ، ولا يُوْجِبُ ذَلِكَ أنْ يَكُوْنَ كُلُّ عَالِمٍ مُعْتَقِدَاً).[٨١]

لَعَلَّ الَّذِي حَمَلَ النُّحَاةَ عَلَى الْقَوْلِ بِأنَّهُ بِمَعْنَى: عَلِمَ أوْ ظَنَّ، ولَمْ يَقُوْلُوْا إنَّهُ بِمَعْنَى: اعْتَقَدَ، لِكَوْنِ الأوَّلَيْنِ مُتَعَدِّيَيْنِ إلَى اثْنَيْنِ، و(اعْتَقَدَ)، عِنْدَهُمْ، مُتَعَدٍّ إلَى وَاحِدٍ، لِذَلِكَ قَالُوْا: إذَا كَانَ(رَأَى) بِمَعْنَى الرَّأْيِ، أيِ الاعْتِقَادِ، اكْتَفَى بِمَفْعُوْلٍ وَاحِدٍ.[٨٢]

لَسْتُ أدْرِي مَا يَمْنَعُ مِنْ تَعَدِّي(اعْتَقَدَ) إلَى مَفْعُوْلَيْنِ، وَهُوَ فِعْلٌ قَلْبِيٌّ لا يَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ أفْعَالِ الْقُلُوْبِ، ألا تَرَى أنَّهُ لَوْ قُلْنَا: اعْتَقَدْتُ زَيْدَاً مُسَافِرَاً، لَكَانَ بِمَعْنَى: اعْتَقَدْتُ سَفَرَ زَيْدٍ، كَمَا كَانَ قَوْلُنَا: عَلِمْتُ زَيْدَاً مُسَافِرَاً، بِمَعْنَى: عَلِمْتُ سَفَرَ زَيْدٍ، وأيْضَاً فَقَدْ ألْحَقَ النَّحْوِيُّوْنَ(رَأَى) الْحُلُمِيَّةَ بِـ (رَأَى) الْعِلْمِيَّةِ، كَمَا سَيَأْتِي، فَنَصَبُوْا بِهِ مَفْعُوْلَيْنِ لِكَوْنِ كِلَيْهِمَا إدْرَاكَاً بِالْبَاطِنِ، أوَ لَيْسَ (اعْتَقَدَ) إدْرَاكَاً بِالْبَاطِنِ كـ (رَأَى)؟ وأيْضَاً أنَّ(رَأَى) الَّذِي بِمَعْنَى: اعْتَقَدَ، عِنْدَ بَعْضِهِمْ،[٨٣] يَتَعَدَّى إلَى مَفْعُوْلَيْنِ اسْتِدْلالاً بِقَوْلِهِ:

رَأَى النَّاسَ، إلاَّ مَنْ رَأَى مِثْلَ رَأْيِهِ خَوَارِجَ تَرَّاكِيْنَ قَصْدَ الْمَخَارِج

وقَالَ ابْنُ سِيْدَه:الرَّأْيُ الاعْتِقَادُ[٨٤]،وقَالَ الرَّاغِبُ[٨٥]:(الرَّأْيُ اعْتِقَادُ النَّفْسِ أحَدَ النَّقِيْضَيْنِ عَنْ غَلَبَةِ الظَّنِّ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ(يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ)، أيْ يَظُنُّوْنَهُمْ بِحَسَبِ مُقْتَضَى مُشَاهَدَةِ الْعَيْنِ مِثْلَيْهِمْ).

مَهْمَا يَكُنْ فَإنَّ تَعَدِّي(اعْتَقَدَ) إلَى مَفْعُوْلَيْنِ لا يَنْهَضُ دَلِيْلاً عَلَى كَوْنِهِ بِمَعْنَى(رَأَى)، ألا تَرَى أنَّ(عَلِمَ) بِمَعْنَى (عَرَفَ) وَهُوَ مُتَعَدٍّ إلَى اثْنَيْنِ بِلا مُنَازِعٍ، و(عَرَفَ) مُتَعَدٍّ إلَى وَاحِدٍ، فَالتَّعَدِّي إذَنْ لَيْسَ دَلِيْلاً عَلَى وُجُوْدِ فَرْقٍ مَعْنَوِيٍّ بَيْنَ(اعْتَقَدَ، وعَلِمَ)، وإنَّمَا(هُوَ مُوْكَلٌ إلَى اخْتِيَارِ الْعَرَبِ، فَإنَّهُمْ قَدْ يَخُصُّوْنَ أحَدَ الْمُتَسَاوِيَيْنِ فِي الْمَعْنَى بِحُكْمٍ لَفْظِيٍّ دُوْنَ الآخَرِ)،[٨٦] وَعَلَيْهِ أرَى، كَمَا رَأَى الرَّضِي، أنَّ(رَأَى) بِمَعْنَى(اعْتَقَدَ)، سَوَاءٌ كَانَ هَذَا الأخِيْرُ يَنْصِبُ وَاحِدَاً أوِ اثْنَيْنِ، واللهُ أعْلَمُ.

إِذَا كَانَ(رَأَى) بِمَعْنَى:أَبْصَرَ، أَوْ بِمَعْنَى: أَصَابَ رِئَتَهُ، أَوْ ضَرَبَ رِئَتَهُ، تَعَدَّى إِلَى مَفْعُوْلٍ وَاحِدٍ، يُقَالُ: رَأَيْتُ زَيْداً، أَيْ أَبْصَرْتُهُ، ورَأَيْتُ زَيْداً، إِذَاَ أَصَبْتُ رِئَتَهُ، أَوْ ضَرَبْتُ رِئَتَهُ.[٨٧]
اعْلَمْ أَنَّ(رَأَى) الَّذِي بِمَعْنَى(أَبْصَرَ) يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُوْلَيْنِ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ هَمْزَةُ التَّعْدِيَةِ، نَحْوُ: أَرَيْتُ زَيْداً عَمْراً، أَيْ جَعَلْتُهُ يَرَاهُ، مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا)[البقرة/١٢٨]ولا يَكُوْنُ مِنْ ذا الْبَابِ.

أَلْحَقَ النُّحَاةُ(رَأَى) الدَّالَّ عَلَى الْحُلُمِ، أي الرُّؤْيَا فِي الْمَنَامِ، بِـ (رَأَى) الدَّالِّ عَلَى الْعِلْمِ، فَنَصَبُوْا بِهِ مَفْعُوْلَيْنِ لِكَوْنِهِ مِثْلَهُ فِي أَنَّهُ إِدْرَاكٌ بِالْبَاطِنِ، وجَعَلُوْا مِنْهُ قَوْلَهُ تَعَالَى(إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً)[يوسف/٣٦]، وَمَنَعَ قَوْمٌ تَعَدِّيَهُ إِلَى اثْنَيْنِ، وجَعَلُوْا ثَانِيَ الْمَنْصُوْبَيْنِ حَالاً، ورُدُّوْا بِوُقُوْعِهِ مَعْرِفَةً فِي قَوْلِ عَمْرِو بْنِ أَحْمَرَ الْبَاهِلِيِّ:

أَرَاهُمْ رِفْقَتِي حَتَّى إِذَا مَا   تَجَافَى اللَّيْلُ وانْخَزَلَ انْخِزَالاً[٨٨]

أَرَى، كَمَا رَأَى هَؤُلَاءِ، أَنَّ الْمَنْصُوْبَ الثَّانِيَ حَالٌ لا مَفْعُوْلٌ ثَانٍ، لأَنَّ الْمَفْعُوْلَ الْحَقِيْقِيَّ فِي بَابِ(ظَنَّ وعَلِمَ) أَعْنِي فِي بَابِ أَفْعَالِ الْقُلُوْبِ، إِنَّمَا هُوَ مَصْدَرُ الْمَفْعُوْلِ الثَّانِي مُضَافاً إِلَى الأَوَّلِ، كَمَا قَرَّرَ النُّحَاةُ، فَمَعْنَى قَوْلِكَ: عَلِمْتُ زَيْداً مُنْطَلِقاً: عَلِمْتُ انْطِلاقَ زَيْدٍ، لأَنَّ عِلْمَكَ وَقَعَ عَلَى الانْطِلاقِ لا عَلَى ذَاتِ زَيْدٍ، ولا يَسْتَقِيْمُ هَذَا فِي الآيَةِ ولا فِي قَوْلِ الْبَاهِلِيِّ، إِذِ الْمُرَادُ فِي الآيَةِ أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ، أَيْ ذَاتَهُ، فِي حَالِ عَصْرِهِ الْخَمْرَ، ولَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَرَى عَصْرَهُ الْخَمْرَ، فَالرُّؤْيَا وَقَعَتْ عَلَى نَفْسِهِ، أَيْ عَلَى ذَاتِهِ، لا عَلَى عَصْرِهِ الْخَمْرَ، بِخَلافِ الْعِلْمِ فِي: عَلِمْتُ زَيْداً مُنْطَلِقاً، فَقَدْ كَانَ الْعِلْمُ وَاقِعاً عَلَى انْطِلاقِ زَيْدٍ لا عَلَى زَيْدٍ نَفْسِهِ، وكَذَلِكَ الْبَاهِلِيُّ، فَهُوَ يَقُوْلُ: إِنِّي أَرَاهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ فِي حَالِ مُرَافَقَتِهِمْ لِي، ولا يُرِيْدُ أَنِّي أَرَى مُرَافَقَتَهُمْ لِي.
ولا يَقْدَحُ وُقُوْعُ الثَّانِي مَعْرِفَةً فِي كَوْنِهِ حَالاً، إِذْ إِنَّ مَجِيْءَ الْحَالِ مَعْرِفَةً وَارِدٌ فِي كَلامِ الْعَرَبِ، وجَائِزٌ عِنْدَ قَوْمٍ مِنَ النُّحَاةِ.[٨٩]
وأَمَّا عَدُّهُمْ(رَأَى)، بِمَعْنَى الرُّؤْيَا فِي الْمَنَامِ، فِعْلاً قَلْبِيّاً فَفِيْهِ نَظَرٌ، إِذْ لا يُمَارِي اثْنَانِ فِي أَنَّهُ لَيْسَ كَـ (رَأَى) الدَّالِّ عَلَى الْعِلْمِ أَوِ الظَّنِّ، ولَا كَغَيْرِهِ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوْبِ مِنْ حَيْثُ دَلالَتُهُ عَلَى وُقُوْعِهِ فِي الْقَلْبِ أَوْ النَّفْسِ أَوِ الْبَاطِنِ، فَهُوَ لا يَخْتَلِفُ عَنْ رُؤْيَةِ الْبَصَرِ إِلاَّ فِي كَوْنِ الأَخِيْرَةِ تَقَعُ مِنَ الْمُبْصِرِ بِوَعْيٍ مِنْهُ وإِرَادَةٍ، والرُّؤْيَا تَقَعُ فِي غَيْرِ وَعْيٍ وإِرَادَةٍ مِنْهُ، واللهُ أَعْلَمُ.

والْوَجْهُ الثَّانِي: اعْتِقَادُ كَوْنِ الشَّيْءِ عَلَى صِفَةٍ اعْتِقَاداً غَيْرَ مُطَابِقٍ، وَهُوَ عَدَّ وجَعَلَ. ذَهَبَ النَّحْوِيُّوْنَ إِلَى أَنَّ(عَدَّ) بِمَعْنَى: ظَنَّ،[٩٠] ومِنْهُ قَوْلُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيْرٍ الأَنْصَارِيِّ:

فَلا تَعْدُدِ الْمَوْلَى شَرِيْكَكَ فِي الْغِنَى   وَلَكِنَّمَا الْمَوْلَى شَرِيْكُكَ فِي الْعُدْمِ

وقَوْلُ أَبِي دُؤَادٍ الأَيَادِيِّ:

لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْماً وَلَكِنْ   فَقْدُ مَنْ رُزِئْتُهُ الإِعْدَامُ

وذَهَبَ الرَّضِي إِلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى اعْتِقَادِ كَوْنِ الشَّيْءِ عَلَى صِفَةٍ اعْتِقَاداً غَيْرَ مُطَابِقٍ، ومَثَّلَ لَهُ بِـ : كُنْتُ أَعُدُّهُ غَنِيّاً فَبَانَ فَقِيْراً.[٩١]
الظَّنُّ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ هُوَ رُجْحَانُ أَحَدِ طَرَفَي التَّجَوُّزِ،[٩٢]أَيْ تَرَجُّحُ أَحَدِ الدَّلِيْلَيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ عَلَى الآخَرِ، أَوْ هُوَ(التَّرَدُّدُ الرَّاجِحُ بَيْنَ طَرَفَي الاعْتِقَادِ الْغَيْرِ الْجَازِمِ، أَوْ هُوَ الاعْتِقَادُ الرَّاجِحُ احْتِمَالَ النَّقِيْضِ)[٩٣] ، فَالاعْتِقَادُ ضَرْبَانِ، اعْتِقَادٌ جَازِمٌ، وَهَذَا يَقِيْنٌ، واعْتِقَادٌ غَيْرُ جَازِمٍ، وهَذَا ظَنٌّ، لأَنَّ فِيْهِ رُجْحَاناً لأَحَدِ طَرَفَي الاعْتِقَادِ.
إِنَّ قَوْلَكَ: ظَنَنْتُ زَيْداً نَاجِحاً، يَعْنِي أَنَّكَ كُنْتَ قَبْلَ قَوْلِكَ هَذَا مُعْتَقِداً فِي زَيْدٍ النَّجَاحَ والرُّسُوْبَ، فَلَمَّا تَرَجَّحَ دَلِيْلُ النَّجَاحِ قُلْتَ: ظَنَنْتُ زَيْداً نَاجِحاً، فَظَنُّكَ قَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ ولا يَتَحَوَّلُ إِلَى يَقِيْنٍ أَوْ شَكٍّ إِلاَّ إِذَا طَرَأَ مَا يَسْتَدْعِي ذَلِكَ،كَذَلِكَ لَوِ اعْتَقَدْتَ اعْتِقَاداً غَيْرَ جَازِمٍ فَقُلْتَ: اعْتَقَدْتُ زَيْداً نَاجِحاً.

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا، لا يَكُوْنُ(عَدَّ) بِمَعْنَى: ظَنَّ، لأنَّ قَوْلَكَ: عَدَدْتُكَ صَدِيْقَاً وَفِيَّاً، تَقُوْلُهُ لِمَنْ تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، أي اعْتَقَدْتَ فِيْهِ اعْتِقَاداً جَازِمَاً بِأَنَّهُ لَيْسَ الصَّدِيْقَ الْوَفِيَّ وإِنَّمَا هُوَ خِلافُ ذَلِكَ، وَهُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ الرَّضِي بِالاعْتِقَادِ كَوْنِ الشَّيْءِ عَلَى صِفَةٍ اعْتِقَاداً غَيْرَ مُطَابِقٍ.

لَقَدِ اسْتَعْمَلَ الْمُحْدَثُوْنَ فِي كِتَابَاتِهِمْ بِمَعْنَى(عَدَّ) لَفْظَ: اعْتَبَرَ، لا مِنَ الْعِبْرَةِ، أي الاعْتِبَارِ بِمَا مَضَى، وَهُوَ لَفْظٌ مُرَادِفٌ لِـ (عَدَّ)، وأَكْثَرُ اخْتِصَاراً مِمَّا ذَكَرَهُ الرَّضِي. شَاعَ اسْتِعْمَالُهُ، وظَلَّ يُرَدِّدُ أَكْثَرَ مِنْ(عَدَّ) نَفْسِهِ حَتَّى ضَاقَ صَدْرُ أَهْلِ اللُّغَةِ بِهَؤُلاءِ فَحَذَّرُوْا ونَبَّهُوْا عَلَى خَطَأ اسْتِعْمَالِهِ، وقَالُوْا: لا تَقُوْلُوْا(اعْتَبَرَ)، بَلْ قُوْلُوْا: عَدَّ، لأنَّ اعْتَبَرَ مِنَ الْعِبْرَةِ، فَتُرِكَ الْمَدْلُوْلُ وأُهْمِلَ.

حَقَّاً لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا عَنِ الْعَرَبِ(اعْتَبَرَ) بِهَذَا الْمَدْلُوْلِ، لَكِنَّ هَذَا لا يَنْهَضُ دَلِيْلاً عَلَى عَدَمِ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ إِيَّاهُ، لاحْتِمَالِ أَنَّهُمْ قَالُوْهُ وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا، إِذْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا كُلُّ مَا قَالَتْهُ الْعَرَبُ، وعَلَى فَرْضِ التَّسْلِيْمِ بِعَدَمِ اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُ فَمَا الْمَانِعُ مِنْ عَدِّهِ تَطَوُّراً دَلالِيَّاً لِلَّفْظِ، والتَّطَوُّرُ الدَّلالِي بَابٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَاسِعٌ، فَهَلاّ أَحْيَيْنَا هَذَا الْمَدْلُوْلَ.

وتَعَدِّي(عَدَّ) لِمَفْعُوْلَيْنِ إِنَّمَا هُوَ مِمَّا أَثْبَتَهُ الْكُوْفِيُّوْنَ وبَعْضُ الْبَصْرِيِّيْنَ، وَوَافَقَهُمْ ابْنُ أَبِي الرَّبِيْعِ وابْنُ مَالِكٍ، وأَنْكَرَهُ أَكْثَرُ الْبَصْرِيِّيْنَ،[٩٤] ولا وَجْهَ لإِنْكَارِهِمْ لِوُرُوْدِهِ عَنِ الْعَرَبِ، ولأَنَّهُ قَلْبِيٌّ، والْقَلْبِيُّ، عِنْدَهُمْ، يَتَعَدَّى لاثْنَيْنِ، وأَيْضَاً إِذَا كَانَ(عَدَّ) الَّذِي بِمَعْنَى: أَحْصَى، أيْ حَسَبَ، يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُوْلَيْنِ، وَهُوَ غَيْرُ قَلْبِيٍّ، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى أَنْ يَتَعَدَّى الْقَلْبِيُّ إِلَيْهِمَا، قَالَ جَرِيْرُ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ:

تَعُدُّوْنَ عَقْرَ النِّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ   بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلا الْكَمِيُّ الْمُقَنَّعَا

وقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ:(عَدَّ مِنَ الأفْعَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ إِلَى مَفْعُوْلَيْنِ بَعْدَ اعْتِقَادِ حَذْفِ الْوَسِيْطِ، يَقُوْلُوْنَ: عَدَدْتُكَ الْمَالَ، وعَدَدْتُ لَكَ الْمَالَ).[٩٥]

الْغَالِبُ فِي(عَدَّ) غَيْرِ الْقَلْبِيِّ تَعَدِّيْهِ إِلَى وَاحِدٍ، يُقَالُ:(عَدَّ الشَّيْءَ، يَعُدُّهُ عَدَّاً وتَعْدَاداً وعِدَّةً، إِذَا أَحْصَاهُ، أيْ حَسَبَهُ، ومِنْهُ حَدِيْثُ لُقْمَانَ:" وَلا نَعُدُّ فَضْلَهُ عَلَيْنَا " أيْ لا نُحْصِيْهِ لِكَثْرَتِهِ).[٩٦]

أَمَّا(جَعَلَ) فَيُتَصَرَّفُ فِيْهِ عَلَى ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ،[٩٧] الْوَجْهُ الأَوَّلُ: لازِمٌ، ولَهُ مَعْنَيَانِ، أَحَدُهُمَا: بِمَعْنَى التَّوَجُّهِ والإِنْشَاءِ والشُّرُوْعِ فِي الشَّيْءِ والاشْتِغَالِ بِهِ، فَيَجْرِي مَجْرَى: طَفِقَ وعَلِقَ وأَخَذَ وأَنْشَأَ، يُقَالُ: جَعَلَ فُلانٌ يَفْعَلُ كَذَا، أيْ أَقْبَلَ وأَخَذَ. وثَانِي الْمَعْنَيَيْنِ: جَعِلَ الْمَاءُ، إِذَا كَثُرَتْ فِيْهِ الْجِعْلانُ، أَوْ مَاتَتْ فِيْهِ، والْجِعْلانُ دُوَيْبَاتٌ سَوْدَاءُ تَكُوْنُ فِي الْمَوَاضِعِ النَّدِيَّةِ.

والْوَجْهُ الثَّانِي: يَتَعَدَّى فِيْهِ إِلَى مَفْعُوْلٍ وَاحِدٍ، ولَهُ مَعَانٍ، مِنْهَا: الإِيْجَادُ والْخَلْقُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّوْرَ)[الأنعام/١]،أيْ خَلَقَهَا، وقَوْلُهُ تَعَالَى(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)[الأنبياء/٣٠]، و(وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ)[النحل/٧٨]،ومِنْهَا: الصُّنْعُ، يُقَالُ:جَعَلَ الشَّيْءَ، أيْ صَنَعَهُ، ومِنْهَا: إِيْجَادُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ وتَكْوِيْنُهُ مِنْهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى(جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجَاً)[النحل/٧٢]،و(وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانَاً)[النحل/٨١]و (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيْهَا سُبُلاً)[الزخرف/١٠]، ومِنْهَا: التَّسْوِيَةُ والتَّهْيِئَةُ، قَالَ تَعَالَى(أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)[البلد/٨]وقَالَ(وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجَاً)[الطلاق/٢]و(وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرَاً)[الطلاق/٤]، ومِنْهَا: إِدْخَالُ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ، كقَوْلِهِ تَعَالَى(يَجْعَلُوْنَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ)[البقرة/١٩]، ومِنْهَا: الإِيْقَاعُ فِي الْقَلْبِ والإِلْهَامُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوْبِ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُ رَأْفَةً ورَحْمَةً)[الحديد/٢٧]، ومِنْهَا: الْوَضْعُ، يُقَالُ: جَعَلَ الشَّيْءَ، إِذَا وَضَعَهُ، ومِنْهَا: الإِلْقَاءُ، يُقَالُ: جَعَلَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ، أيْ أَلْقَاهُ، ومِنْهَا: الْمُشَارَطَةُ، يُقَالُ: جَعَلَ لَهُ كَذَا عَلَى كَذَا، أيْ شَارَطَهُ بِهِ عَلَيْهِ.

والْوَجْهُ الثَّالِثُ: يَتَعَدَّى فِيْهِ إِلَى مَفْعُوْلَيْنِ، ولَهُ مَعَانٍ، مِنْهَا: التَّصْيِيْرُ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشَاً)[البقرة/٢٢]، و(وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيْهِنَّ نُوْرَاً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجَاً)[نوح/١٦]و(إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِيْنَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُوْنَ)[الأعراف/٢٧]و(جَعَلَنِي نَبِيَّاً)[مريم/٣٠]، ومِنْهَا: الاعْتِقَادُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى (يَجْعَلُوْنَ للهِ الْبَنَاتَ)[النحل/٥٧]ومِنْهَا: التَّسْمِيَةُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَجَعَلُوْا الْمَلائِكَةَ الَّذِيْنَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثَاً)[الزخرف/١٩]، أيْ سَمَّوْهُمْ[٩٨]، وقِيْلَ: وَصَفُوْهُمْ بِذَلِكَ وحَكَمُوْا بِهِ، كَمَا يُقَالُ: جَعَلَ فُلانٌ زَيْدَاً أَعْلَمَ النَّاسِ، وقِيْلَ: اعْتَقَدُوْا فِيْهِمُ

الأُنُوْثَةَ،[٩٩] وقِيْلَ: ظَنُّوْا،[١٠٠] وقِيْلَ: صَيَّرُوْا،[١٠١] ومِنْهَا: الْحُكْمُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (الَّذِيْنَ جَعَلُوْا الْقُرْآنَ عِضِيْنَ)[الحجر/٩١]، وقَوْلُ الشَّارِعِ: جَعَلَ اللهُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوْضَاتِ خَمْسَاً، ومِنْهَا: التَّبْيِيْنُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنَاً عَرَبِيَّاً)[الزخرف/٣]، أَيْ بَيَّنَّاهُ، ومِنْهَا: التَّشْرِيْفُ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَاً)[البقرة/١٤٣]،أَيْ شَرَّفْنَاكُمْ، وقَوْلِهِ تَعَالَى(جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامَاً)[المائدة/٩٧]، ومِنْهَا: التَّبْدِيْلُ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى(فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا)[الحجر/٧٤]و(وَتَجْعَلُوْنَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تَكْذِبُوْنَ)[الواقعة/٨٢]، ومِنْهَا: الظَّنُّ، يُقَالُ: جَعَلَ الْبَصْرَةَ بَغْدَادَ، أَيْ ظَنَّهَا إِيَّاهَا.

لَمْ يَذْكُرِ النُّحَاةُ لـ (جَعَلَ) الْمُتَعَدِّي إِلَى اثْنَيْنِ غَيْرَ مَعْنَى الاعْتِقَادِ، ومَثَّلُوْا لَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى(وَجَعَلُوْا الْمَلائِكَةَ الَّذِيْنَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثَاً)، أَيِ اعْتَقَدُوْا فِيْهِمُ الأُنُوْثَةَ، وَهُوَ اعْتِقَادٌ غَيْرُ مُطَابِقٍ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: اعْتِقَادُ كَوْنِ الشَّيْءِ عَلَى صِفَةٍ اعْتِقَادَاً غَيْرَ مُسْتَنِدٍ إِلَى وُثُوْقٍ، أَيِ اعْتِقَادَاً غَيْرَ جَازِمٍ، وَهُوَ: زَعَمَ. تُصُرِّفَ فِي(زَعَمَ) عَلَى ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ،[١٠٢] الأَوَّلُ: لازِمٌ غَيْرُ مُتَعَدٍّ، وذَلِكَ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى: سَمِنَ، وهُزِلَ، يُقَالُ: زَعِمَتِ الشَّاةُ، تَزْعَمُ زَعَمَاً، إِذَا سَمِنَتْ، وإِذَا هُزِلَتْ، ضِدٌّ، أَوْ بِمَعْنَى: طَابَ، يُقَالُ: زَعَمَ اللَّبَنُ، يَزْعُمُ زَعْمَاً، أَيْ أَخَذَ يَطِيْبُ.

والْوَجْهُ الثَّانِي: مُتَعَدٍّ إِلَى وَاحِدٍ، إِمَّا بِنَفْسِهِ، وذَلِكَ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى: وَعَدَ، يُقَالُ: زَعَمَهُ، يَزْعُمُهُ زَعْمَاً، أَيْ وَعَدَهُ، ومِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ، ويُرْوَى لأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ، يَصِفُ نُوْحَاً عَلَيْهِ السَّلامُ:

نُوْدِيَ قُمْ وارْكَبَنْ بأَهْلِكَ إِنَّ   اللهَ مُوْفٍ للنَّاسِ مَا زَعَمَا

أَيْ مَا وَعَدَ، وقَوْلُ عَمْرِو بْنِ شَأْسٍ:

تَقُوْلُ هَلَكْنَا إِنْ هَلَكْتَ وإِنَّمَا   عَلَى اللهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمَ

أَيْ كَمَا وَعَدَ، أَوْ كَانَ بِمَعْنَى: قَالَ، زَعَمَ يَزْعُمُ زَعْمَاً وزُعْمَاً وزِعْمَاً، وبِهِ فُسِّرَ قَوْلُ النَّابِغَةِ، ومِنْهُ أَيْضَاً قَوْلُ أَبِي زُبَيْدٍ الطَّائِيِّ:

يَا لَهْفَ نَفْسِي إِنْ كَانَ الَّذِي زَعَمُوْا   حَقَّاً ومَاذَا يَرُدُّ الْيَوْمَ تَلْهِيْفِي

أَيْ قَالُوْا وذَكَرُوْا.

وإِمَّا مُتَعَدٍّ بِحَرْفِ الْجَرِّ، وذَلِكَ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى: رَأَسَ وسَادَ، يُقَالُ: زَعُمَ فُلانٌ عَلَى قَوْمِهِ، يَزْعُمُ زَعَامَةً، إِذَا كَانَ رَئِيْسَهُمْ وسَيِّدَهُمْ، أَوْ رَئِيْسَهُمُ الْمُتَكَلِّمُ عَنْهُمْ ومِدْرَهُهُمْ، ومِنْهُ قَوْلُهُ:

حَتَّى إِذَا رَفَعَ اللِّوَاءَ رَأَيْتَهُ   تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الْخَمِيْسِ زَعِيْمَا

أَوْ كَانَ بِمَعْنَى: شَهِدَ، يُقَالُ: زَعَمَ عَلَى كَذَا، يَزْعُمُ زَعْمَاً، إِذَا شَهِدَ عَلَيْهِ، ومِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ:

*زَعَمَ الْهُمَامُ بأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ *

أَوْ بِمَعْنَى: طَمِعَ، يُقَالُ: زَعِمَ فُلانٌ فِي غَيْرِ مَزْعَمٍ، يَزْعَمُ زَعَمَاً وزَعْمَاً، أَيْ طَمِعَ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ، ومِنْهُ قَوْلُ عَنْتَرَةَ:   عُلِّقْتُهَا عَرَضَاً وأَقْتُلُ قَوْمَهَا
زَعْمَاً ورَبِّ الْبَيْتِ لَيْسَ بِمَزْعَمِ

أَوْ بِمَعْنَى:كَفَلَ وضَمِنَ، يُقَالُ: زَعَمَ بِهِ، يَزْعُمُ زَعْمَاً وزَعَامَةً، أَيْ كَفَلَهُ وضَمِنَهُ،ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَأَنَا بِهِ زَعِيْمٌ)[يوسف/٧٢]أَيْ كَفِيْلٌ، وفِي الْحَدِيْثِ:(الدَّيْنُ مَقْضِيٌّ والزَّعِيْمُ غَارِمٌ)، أَيِ الْكَفِيْلُ ضَامِنٌ، وفِي حَدِيْثِ عَلِيٍّ، كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:(وَذِمَّتِي رَهِيْنَةٌ وأَنَا بِهِ زَعِيْمٌ)، وقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيْعَةَ:

قُلْتُ كَفِّي لَكِ رَهْنٌ بالرِّضَا   وازْعُمِي يَا هِنْدُ قَالَتْ قَدْ وَجَبْ

أَيِ اضْمَنِي، وبِهِ أَيْضَاً فُسِّرَ قَوْلُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ الْمَذْكُوْرُ.

والْوَجْهُ الثَّالِثُ مِنْ أَوْجُهِ(زَعَمَ): مُتَعَدٍّ لاثْنَيْنِ، وذَلِكَ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى: ظَنَّ، يُقَالُ: زَعَمْتَنِي كَذَا، أَيْ ظَنَنْتَنِي كَذَا، تَزْعُمُنِي زَعْمَاً، بالْفَتْحِ لُغَةُ الْحِجَازِ، وزُعْمَاً، بالضَّمِّ لُغَةُ بَنِي تَمِيْمٍ، وزِعْمَاً، ومِنْهُ قَوْلُ أَبِي ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِيِّ:

فَإِنْ تَزْعُمِيْنِي كُنْتُ أَجْهَلُ فِيْكُمُ   فَإِنِّي شَرَيْتُ الْحِلْمَ بَعْدَكِ بالْجَهْلِ

وقَوْلُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُوْدٍ:

فَذُقْ هَجْرَهَا قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ   رَشَادٌ ألا يَا رُبَّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

عَدَّ أَهْلُ النَّحْوِ هَذَا الْوَجْهَ مِنْ بَابِ الرُّجْحَانِ[١٠٣]، فَهُوَ عِنْدَ ابْنِ مَالِكٍ وأَبِي حَيَّانَ بِمَعْنَى: ظَنَّ[١٠٤]، وعِنْدَ الْجَزْوَلِيِّ والشَّلَوْبِيْنِ والسَّلْسِيْلِيِّ بِمَعْنَى: اعْتَقَدَ[١٠٥]،وعند السُّيُّوْطِيِّ بِمَعْنَى: ظَنَّ،[١٠٦]وبِمَعْنَى: اعْتَقَدَ،[١٠٧]، وأَفْرَدَهُ ابْنُ يَعِيْشَ، وجَعَلَهُ قِسْماً بِرَأْسِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِ الْيَقِيْنِ ولا مِنْ أَفْعَالِ الرُّجْحَانِ، وإِنَّمَا يَكُوْنُ عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ وظَنٍّ، إلاَّ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ عَنِ اعْتِقَادٍ،[١٠٨]وهَذَا قَرِيْبٌ مِنْ قَوْلِ الرَّضِي، فَهُوَ عِنْدَهُ بِمَعْنَى: الْقَوْلِ بِأَنَّ الشَّيْءَ عَلَى صِفَةٍ قَوْلاً غَيْرَ مُسْتَنِدٍ إِلَى وُثُوْقٍ،[١٠٩]وعَبَّرْنَا عَنْهُ بالاعْتِقَادِ غَيْرِ الْجَازِمِ، لأنَّ الزَّعْمَ قَوْلٌ مَقْرُوْنٌ بالاعْتِقَادِ صَحَّ أَوْ لَمْ يَصِحَّ، كَمَا قَالَ السِّيْرَافِيُّ،[١١٠]ويُقَوِّيْهِ قَوْلُ اللَّيْثِ:(سَمِعْتُ أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ يَقُوْلُوْنَ إِذَا قِيْلَ: ذَكَرَ فُلانٌ كَذَا وكَذَا، فَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ لأَمْرٍ يُسْتَيْقَنُ أَنَّهُ حَقٌّ، وإِذَا شُكَّ فِيْهِ فَلَمْ يُدْرَ لَعَلَّهُ كِذْبٌ أَوْ بَاطِلٌ قِيْلَ: زَعَمَ فُلانٌ)[١١١]، فَهُوَ قَوْلٌ لا يَفْتَقِرُ إِلَى مَا يُوْثِقُهُ فَحَسْبُ، عَلَى مَا قَالَهُ الرَّضِي، وإِنَّمَا هُوَ اعْتِقَادٌ مَشْكُوْكٌ فِيْهِ، لأَنَّ الزَّعْمَ أَكْثَرُ مَا يُقَالُ فِيْمَا يُشَكُّ فِيْهِ ولا يَتَحَقَّقُ، ويُقَوِّيْهِ أَنَّهُ لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ إلاَّ لِلْبَاطِلِ، قَالَ تَعَالَى(أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ يَزْعُمُوْنَ أَنَّهُمْ آمَنُوْا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)[النساء/٦٠]و(أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تَزْعُمُوْنَ)[الأنعام/٢٢]و (وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ)[الأنعام/٩٤][١١٢]، قَالَ السُّبْكِيُّ:(وأَنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ وَجَدْتَهُ يُسْتَعْمَلُ حَيْثُ يَكُوْنُ الْمُتَكَلِّمُ شَاكَّاً، فَهُوَ كَقَوْلٍ لَمْ يَقُمِ الدَّلِيْلُ عَلَى صِحَّتِهِ وإِنْ كَانَ صَحِيْحَاً فِي نَفْسِ الأَمْرِ).[١١٣]

وأَمَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُرْجَانِيُّ مِنْ أَنَّهُ عِلْمٌ مَعَ قَوْلٍ[١١٤]، فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، لأَنَّ الزَّعْمَ قَوْلٌ، فَقَدْ يَكُوْنُ حَقَّاً وقَدْ يَكُوْنُ بَاطِلاً، وأَكْثَرُ مَا يُقَالُ فِيْمَا يُشَكُّ فِيْهِ ولا يَتَحَقَّقُ،[١١٥] ولَيْسَ كَذَلِكَ الْعِلْمُ، إِذْ هُوَ يَقِيْنٌ.

واعْلَمْ أَنَّ نَصْبَ(زَعَمَ) لِصَرِيْحِ الْمَفْعُوْلَيْنِ قَلِيْلٌ، مِنْهُ قَوْلُ أَبِي ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِيِّ الْمَذْكُوْرُ، وقَوْلُ أَبِي أُمَيَّةَ الْحَنَفِيِّ:

زَعَمَتْنِي شَيْخَاً ولَسْتُ بِشَيْخٍ   إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدُبُّ دَبِيْبَاً

والْغَالِبُ وُقُوْعُهُ عَلَى(أَنَّ) مُشَدَّدَةً كَانَتْ أَوْ مُخَفَّفَةً، كَقَوْلِهِ تَعَالَى(زَعَمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوْا)[التغابن/٧]و(بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدَاً)[الكهف/٤٨]، وَقَوْلِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُوْدٍ الْمَذْكُوْرِ، وقَوْلِ كُثَيِّرِ عَزَّةَ:

وَقَدْ زَعَمَتْ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا   وَمَنْ ذَا الَّذِي يَا عَزُّ لا يَتَغَيَّرُ

وقَوْلِ أَبِي طَالِبٍ:

وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ   وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِيْنَا

ولِكَثْرَةِ مَجِيْءِ(أَنَّ وأَنْ) بَعْدَهُ قَالَ الْخَلِيْلُ:(الأَحْسَنُ أَنْ تَقَعَ عَلَى أَنْ وأَنَّ)[١١٦]، ومَنَعَ الأَزْهَرِيُّ نَصْبَهُ لِصَرِيْحِ الْمَفْعُوْلَيْنِ لِنُدْرَةِ وُرُوْدِهِ، واقْتِصَارِ مَا وَرَدَ مِنْهُ عَلَى الشِّعْرِ، والشِّعْرُ ضَرُوْرَةٌ لا يُقَاسُ عَلَيْهَا،[١١٧]وَيُقَوِّي قَوْلَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ إلاَّ كَذَلِكَ، أَعْنِي وُقُوْعَهُ عَلَى(أَنَّ) الْمُشَدَّدَةِ أَوِ الْمُخَفَّفَةِ،[١١٨] واللهُ أَعْلَمُ.

*   *   *

الإلْغَاءُ

قَالُوْا: لِضَعْفِ هَذِهِ الأفْعَالِ فِي الْعَمَلِ جَازَ أنْ يُلْغَى مَا تَصَرَّفَ مِنْهَا، وَهُوَ مَا عَدَا: هَبْ وتَعَلَّمْ، ومَعْنَى إلْغَائِهَا إبْطَالُ عَمَلِهَا لَفْظَاً ومَعْنًى لِغَيْرِ مَانِعٍ، وسَبَبُ ضَعْفِهَا كَوْنُهَا أفْعَالاً غَيْرَ مُؤَثِّرَةٍ ولا نَافِذَةٍ مِنْ فَاعِلِهَا إلَى غَيْرِهِ، إذْ إنَّ تَأْثِيرَهَا لَيْسَ بِظَاهِرٍ كَأَفْعَالِ الْعِلاجِ، فَهِيَ يَقِيْنٌ أوْ شَكٌّ يَهْجِسُ فِي النَّفْسِ مِنْ غَيْرِ تَأْثِيْرٍ فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، وإنَّمَا أُعْمِلَتْ كَمَا أُعْمِلَ(ذَكَرَ) فَتَعَدَّى إلَى الْمَفْعُوْلِ فِي قَوْلِكَ: ذَكَرْتُ زَيْدَاً، لأنَّ الذِّكْرَ قَدِ اخْتَصَّ بِزَيْدٍ، أعْنِي بِالْمَفْعُوْلِ، وإنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيْهِ، وكَذَلِكَ هَهُنَا، إذْ تَعَلَّقَ ظَنُّ فَاعِلِ هَذِهِ الأفْعَالِ أوْ عِلْمُهُ بِمَظْنُوْنٍ أوْ مَعْلُوْمٍ وإنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيْهِ، مَعَ فَارِقٍ هُوَ أنَّ الْمَظْنُوْنَ أوِ الْمَعْلُوْمَ مَضْمُوْنُ جُمْلَةٍ ولَيْسَ مُفْرَدَاً كَمَا كَانَ فِي(ذَكَرْتُ زَيْدَاً)، لأنَّ ظَنَّكَ فِي قَوْلِكَ: ظَنَنْتُ زَيْدَاً مُسَافِرَاً، قَدْ تَعَلَّقَ بِسَفَرِ زَيْدٍ، لا بِزَيْدٍ دُوْنَ السَّفَرِ، أوْ بِالسَّفَرِ دُوْنَ زَيْدٍ،[١١٩] قَالُوْا: هَذِهِ الأفْعَالُ تُؤَثِّرُ فِي الأحْدَاثِ الْمَأْخُوْذَةِ مِنْ مَفَاعِيْلِهَا الثَّانِيَةِ، ولا تُؤَثِّرُ فِي الذَّوَاتِ، لِذَلِكَ أُلْغِيَتْ وَلَمْ تُلْغَ أفْعَالُ التَّصْيِيْرِ لِقُوَّتِهَا، لأنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي الذَّوَاتِ بِقَلْبِهَا وتَحْوِيْلِهَا.[١٢٠]

كَمَا تَرَى أنَّهُمْ يُرْجِعُوْنَ سَبَبَ إلْغَاءِ هَذِهِ الأفْعَالِ إلَى ضَعْفِهَا فِي الْعَمَلِ، ثُمَّ جَعَلُوْا هَذَا الضَّعْفَ مَرَاتِبَ ودَرَجَاتٍ، فَضَعْفُ الْعَامِلِ إذَا كَانَ مُتَأَخِّرَاً عَنِ الْمَفْعُوْلَيْنِ يَخْتَلِفُ عَنْ ضَعْفِهِ إذَا كَانَ وَسَطَاً بَيْنَهُمَا أوْ مُتَأَخِّرَاً عَنْهُمَا، وبِحَسَبِ اخْتِلافِ مَرَاتِبِ هَذَا الضَّعْفِ جَعَلُوْا لِهَذِهِ الأفْعَالِ ثَلاثَةَ أحْوَالٍ: حَالٌ تَقَدَّمَتْ فِيْهَا الأفْعَالُ عَلَى الْمَفْعُوْلَيْنِ، وحَالٌ تَوَسَّطَتْ بَيْنَهُمَا، وحَالٌ تَأَخَّرَتْ عَنْهُمَا.

فَإنْ تَقَدَّمَتْ لَمْ يَكُنْ، عِنْدَ الْبَصْرِيِّيْنَ مَا عَدَا الأخْفَشَ، بُدٌّ مِنْ إعْمَالِهَا، لأنَّ مُقْتَضَى إعْمَالِهَا قَائِمٌ شَأْنُهَا فِي ذَلِكَ شَأْنَ سَائِرِ الأفْعَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى مَعْمُوْلاتِهَا، فَكَمَا أنَّ الْفِعْلَ(ضَرَبَ) فِي قَوْلِكَ: ضَرَبْتُ زَيْدَاً، أقْوَى فِي الْعَمَلِ مِنْهُ فِي قَوْلِكَ: زَيْدَاً ضَرَبْتُ، بِدَلالَةِ جَوَازِ تَقْوِيَتِهِ بِحَرْفِ الْجَرِّ فَتَقُوْلُ: لِزَيْدٍ ضَرَبْتُ، وعَدَمِ اسْتِحْسَانِ ذَلِكَ مَعَ تَأَخُّرِ الْمَعْمُوْلِ، إذْ لا يُقَالُ: ضَرَبْتُ لِزَيْدٍ، فَكَذَلِكَ هَهُنَا لا يَجُوْزُ أنْ تُلْغِيَ فَتَقُوْلَ: ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، لِقُوَّةِ الْفِعْلِ بِتَقَدُّمِهِ، ولأنَّ عَامِلَ الابْتِدَاءِ عَامِلٌ مَعْنَوِيٌّ، والنَّصْبَ عَامِلٌ لَفْظِيٌّ، فَاللَّفْظِيُّ يَغْلِبُ الْمَعْنَوِيَّ، لِذَلِكَ امْتَنَعَ الإلْغَاءُ ووَجَبَ الإعْمَالُ،[١٢١] و(لأنَّ التَّقْدِيْمَ مِنْ أعْلامِ الْعِنَايَةِ، والإلْغَاءَ مِنْ دَلائِلِ ضَعْفِهَا، فَلا يَجْتَمِعُ الإلْغَاءُ والتَّقْدِيْمُ)،[١٢٢] قَالَ الْمُبَرِّدُ:(لاتَقُوْلُ: ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، لأنَّكَ إذَا قَدَّمْتَ الظَّنَّ فَإنَّمَا تَبْنِي كَلامَكَ عَلَى الشَّكِّ)[١٢٣] ووَجَبَ إذْ ذَ◌اكَ الإعْمَالُ.

وإذَا وَرَدَ مَا يُوْهِمُ الإلْغَاءَ مُتَقَدِّمَاً خَرَّجُوْهُ عَلَى تَقْدِيْرِ ضَمِيْرِ الشَّأْنِ بَعْدَ الْفِعْلِ، أوْ عَلَى التَّعْلِيْقِ بِتَقْدِيْرِ لامِ الابْتِدَاءِ، وعَلَى هَذَيْنِ حَمَلُوْا قَوْلَ أبِي ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِيِّ:

فَلَبِثْتُ بَعْدَهُمْ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ   وَإخَالُ إنِّي لاحِقٌ مُسْتَتْبِعُ

وقَوْلَ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ:

أرْجُوْ وَآمُلُ أنْ تَدْنُوْ مَوَدَّتُهَا   وَمَا إخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيْلُ

وقَوْلَ بَعْضِ الْفَزَارِيِّيْنَ:

كَذَاكَ أُدِّبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي   أنِّي وَجَدْتُ مِلاكُ الشِّيْمَةِ الأدَبُ

والتَّقْدِيْرُ: وإخَالُهُ إنِّي لاحِقٌ مُسْتَتْبِعُ، ومَا إخَالُهُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيْلُ، وأنِّي وَجَدْتُهُ مِلاكُ الشِّيْمَةِ الأدَبُ، فَالْهَاءُ ضَمِيْرُ الشَّأْنِ الْمَفْعُوْلُ الأوَّلُ، والْجُمْلَةُ بَعْدَهَا، مِنَ الْمُبْتَدَأ والْخَبَرِ، فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُوْلِ الثَّانِي، وعَلَى هَذَا يَكُوْنُ الْفِعْلُ بَاقِيَاً عَلَى عَمَلِهِ، لا إلْغَاءَ ولا تَعْلِيْقَ، أوِ التَّقْدِيْرُ: وإخَالُ إنِّي لَلاحِقٌ مُسْتَتْبِعُ، ومَا إخَالُ لَلَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيْلُ، وأنِّي وَجَدْتُ لَمِلاكُ الشِّيْمَةِ الأدَبُ،[١٢٤] وَحِيْنَئِذٍ يُعَلَّقُ الْفِعْلُ عَنِ الْمَفْعُوْلَيْنِ، وعَلَى التَّعْلِيْقِ حَمَلَ سِيْبَوَيْهِ إلْغَاءَ الْمُتَقَدِّمِ، فَهُوَ عِنْدَهُ أوْلَى،[١٢٥] وعَلَى تَقْدِيْرِ ضَمِيْرِ الشَّأْنِ يَحْمِلُهُ الرَّضِي،[١٢٦] فَهُوَ عِنْدَهُ أوْلَى وأقْرَبُ لِثُبُوْتِ ذَلِكَ ضَرُوْرَةً فِي دُخُوْلِ(أنَّ) الْمَفْتُوْحَةِ الْمُشَدَّدَةِ عَلَى اسْمِ الشَّرْطِ فِي قَوْلِ الأخْطَلِ التَّغْلِبِيِّ:

أنَّ مَنْ يَدْخُلِ الْكَنِيْسَةَ يَوْمَاً   يَلْقَ فِيْهَا جَآذِرَ وظِبَاءَ

لِعَدَمِ جَوَازِ جَعْلِ اسْمِ الشَّرْطِ(مَنْ) اسْمَاً لِـ (أنَّ)، لِكَوْنِهِ مِمَّا يَجِبُ تَصْدِيْرُهُ، ولا تَدْخُلُ الْحُرُوْفُ النَّاسِخَةُ عَلَى جُمْلَةٍ لِلْمُبْتَدَأ فِيْهَا الصَّدَارَةُ، وقَالُوْا: اسْمُ(أَنَّ) ضَمِيْرُ شَأْنٍ مَحْذُوْفٍ، وَهُوَ أيْضَاً لَهُ الصَّدَارَةُ، وَلَكِنْ أُغْتُفِرَ هَهُنَا ضَرُوْرَةً، وجَوَّزَ ابْنُ هِشَامٍ، تِبَعَاً للشِّلَوْبِيْنِ[١٢٧] وابْنِ عُصْفُوْرٍ[١٢٨] وابْنِ مَالِكٍ[١٢٩]، فِي قَوْلِ كَعْبٍ وقَوْلِ بَعْضِ الْفَزَارِيِّيْنَ أنْ يَكُوْنَ مِنْ بَابِ الإلْغَاءِ لِتَوَسِّطِ الْعَامِلِ فِيْهِمَا،(لأنَّ التَّوَسُّطَ الْمُبِيْحَ للإلْغَاءِ لَيْسَ التَّوَسُّطَ بَيْنَ الْمَعْمُوْلَيْنِ فَقَطْ، بَلْ تَوَسُّطُ الْعَامِلِ فِي الْكَلامِ مُقْتَضٍ أيْضَاً، نَعَمْ الإلْغَاءُ للتَّوَسُّطِ بَيْنَ الْمَعْمُوْلَيْنِ أقْوَى، والْعَامِلُ هُنَا قَدْ سُبِقَ بأنِّي وبِمَا النَّافِيَةِ)،[١٣٠] وقِيْلَ: إنَّ(إخَالُ) مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ مُعَلَّقٌ بِـ (مَا) النَّافِيَةِ، وإنْ تَقَدَّمَتْ عَلَى الْعَامِلِ، إذْ لا يُشْتَرَطُ تَقَدُّمُ الْفِعْلِ عَلَى الْمُعَلَّقِ، فَقَدْ دَخَلَ النَّفْيُ عَلَى جُمْلَةِ الابْتِدَاءِ ثُمَّ أُعْتُرِضَ بِـ (إخَالُ) والأصْلُ: وإخَالُ مَا لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيْلُ[١٣١] ، وهَذَا أفْضَلُ مِنَ الْقَوْلِ بالإعْمَالِ عَلَى تَقْدِيْرِ اللاَّمِ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَيْهِ سِيْبَوَيْهِ، لأنَّهُ مَنْفِيٌّ، والْمَنْفِيُّ، عِنْدَهُمْ، لا يُؤَكَّدُ، قَالُوْا:(التَّوْكِيْدُ يَدُلُّ عَلَى الاعْتِنَاءِ بالْمُؤَكَّدِ، والإلْغَاءُ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الاعْتِنَاءِ بالْمُؤَكَّدِ [١٣٢]، فَبَيْنَهُمَا تَنَافٍ وتَنَاقُضٌ.

يَرَى النَّحْوِيُّوْنَ أنَّ أفْعَالَ الْقُلُوْبِ تَسْتَمِدُّ قُوَّتَهَا فِي الْعَمَلِ مِنْ تَصَدُّرِهَا ووُقُوْعِهَا قَبْلَ الْمَعْمُوْلَيْنِ، فَإنْ نَأَى الْفِعلُ عَنِ الصَّدْرِ وابْتَعَدَ شَابَهُ الضَّعْفُ واعْتَرَاهُ الْوَهْنُ، فَمَا دَامَ مُتَصَدِّرَاً وَجَبَ إعْمَالُهُ، وامْتَنَعَ إلْغَاؤُهُ وقَبُحَ، لأنَّ الْفِعْلَ لَمْ يَعْتَرِهِ ضَعْفٌ، ولَمْ يَتَسَرَّبْ إلَيْهِ وَهْنٌ، وإذَا ألْغَى الْعَرَبِيُّ، صَاحِبُ اللُّغَةِ، مُتَقَدِّمَاً، دَفَعُوْا الْقُبْحَ الَّذِي شَابَهَ قَوْلَهُ ورَفَعُوْهُ بِتَخْرِيْجِهِ عَلَى وَاحِدٍ مِنَ التَّأْوِيْلَيْنِ الْمَذْكُوْرَيْنِ، وإذَا تَبَاعَدَ الْفِعْلُ عَنِ الصَّدْرِ وتَزَحْزَحَ ضَعُفَ وجَازَ حِيْنَئِذٍ إلْغَاؤُهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُقُوْعِهِ قَبْلَ الْمَفْعُوْلَيْنِ، فَيَجُوْزُ نَحْوُ(مَتَى تَظُنُّ زَيْدٌ مُسَافِرٌ)و(أيْنَ تَظُنُّ زَيْدٌ مُسَافِرٌ)و(الْيَوْمَ تَظُنُّ زَيْدٌ مُسَافِرٌ)، إذْ لَمَّا تَقَدَّمَ عَلَى الْفِعْلِ مَعْمُوْلُ الْخَبَرِ وَهَنَ وضَعُفَ فَجَازَ إلْغَاؤُهُ، ولا يُلْتَفَتُ، حِيْنَئِذٍ، إلَى وُقُوْعِهِ قَبْلَ الْمَفْعُوْلَيْنِ،(لأنَّ تَقَدُّمَ مَعْمُوْلِ الْخَبَرِ، أيْ مَعْمُوْلِ الْمَفْعُوْلِ الثَّانِي، هُوَ كَتَقَدُّمِ الْخَبَرِ وتَوَسُّطِ الْفِعْلِ بَيْنَ الْمُبْتَدَأ والْخَبَرِ)[١٣٣] ، وَصَارَ الْفِعْلُ كَأنَّهُ حَشْوٌ،[١٣٤] وَيَبْقَى إلْغَاؤُهُ، عِنْدَ هَؤُلاءِ، ضَعِيْفَاً قَبِيْحَاً لِقُرْبِهِ مِنَ الصَّدْرِ، لَكِنَّ قُبْحَهُ أقَلُّ مِنْ قُبْحِ إلْغَائِهِ مُتَصَدِّرَاً، هَذَا إنْ جَعَلْتَ(مَتَى وأيْنَ والْيَوْمَ) مَعْمُوْلاتٍ لِلْخَبَرِ، فَإنْ جَعَلْتَهَا مَعْمُوْلاتٍ لِفِعْلِ الْقَلْبِ لَمْ يَجُزْ إلاَّ الإعْمَالُ، لأنَّ(الظَّنَّ لَمْ يَقَعْ بَيْنَ عَامِلٍ ومَعْمُوْلٍ بَلْ وَقَعَ صَدْرَاً، والَّذِي يَلِيْهِ إنَّمَا هُوَ مَعْمُوْلُهُ)[١٣٥] ، قَالَ سِيْبَوَيْهِ:(وتَقُوْلُ: أيْنَ تُرَى عَبْدَ اللهِ قَائِمَاً، وهَلْ تَرَى زَيْدَاً ذَاهِبَاً، لأنَّ هَلْ وأيْنَ كَأنَّكَ لَمْ تَذْكُرْهَا، لأنَّ مَا بَعْدَهُمَا ابْتِدَاءٌ،كَأنَّكَ قُلْتَ:أ تُرَى زَيْدَاً ذَاهِبَاً، وأ تَظُنُّ عمْرَاً مُنْطَلِقَاً)[١٣٦]

وإذَا تَبَاعَدَ الْفِعْلُ عَنِ الصَّدْرِ أكْثَرَ فَصَارَ وَسَطَاً بَيْنَ الْمُبْتَدَأ والْخَبَرِ جَازَ، حِيْنَئِذٍ، إلْغَاؤُهُ وإعْمَالُهُ عَلَى السَّوَاءِ[١٣٧]، نَحْوُ(زَيْدَاً ظَنَنْتُ مُسَافِرَاً)و(زَيْدٌ ظَنَنْتُ مُسَافِرٌ) فَلا قُبْحَ فِي الإلْغَاءِ ولا ضَعْفَ، لأنَّ النَّاصِبَ الْقَوِيَّ ضَعُفَ بِوُقُوْعِهِ بَعْدَ الْعَامِلِ الْمَعْنَوِيِّ، فَهُوَ وإنْ تَقَدَّمَ عَلَى أحَدِهِمَا لَكِنَّهُ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الآخَرِ،[١٣٨] إذْ إنَّ ضَعْفَ الْعَامِلِ بالتَّوَسُّطِ سَوَّغَ مُقَاوَمَةَ الابْتِدَاءِ لَهُ،[١٣٩] ومِنْهُ قَوْلُهُ:

شَجَاكَ أظُنُّ رَبْعُ الظَّاعِنِيْنَ　　　وَلَمْ تَعْبأْ بعَذْلِ الْعَاذِلِيْنَا

وَقِيْلَ: إعْمَالُهُ أرْجَحُ[١٤٠] مِنْ إلْغَائِهِ وأقْوَى، لأنَّ الْعَامِلَ اللَّفْظِيَّ أقْوَى مِنَ الابْتِدَاءِ وإنْ تَأَخَّرَ،[١٤١] ومِنَ الإلْغَاءِ قَوْلُ اللَّعِيْنِ الْمِنْقَرِيِّ:

أ بالأرَاجِيْزِ يَا ابْنَ اللُّؤْمِ تُوْعِدُنِي　　　وَفِي الأرَاجِيْزِ خِلْتُ اللُّؤْمُ والْخَوَرُ

وإذَا تَبَاعَدَ أكْثَرَ فَوَقَعَ مُتَأَخِّرَاً عَنْهُمَا زَادَ ضَعْفَاً ورُجِّحَ، حِيْنَئِذٍ، الإلْغَاءُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ[١٤٢] ووَجَبَ عِنْدَ آخَرِيْنَ [١٤٣]ومِنْهُ قَوْلُ أبِي أُسَيْدَةَ:

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَانِ وإنَّمَا　　　يَسُوْدَانِنَا إنْ أيْسَرَتْ غَنَمَاهُمَا

وقَوْلُهُ:

آتٍ الْمَوْتُ تَعْلَمُوْنَ فَلا يُرْ　　　هِبْكُمْ مِنْ لَظَى الْحُرُوْبِ اضْطِرَامُ

وقَوْلُهُ:

الْقَوْمُ فِي أثَرِي ظَنَنْتُ، فَإنْ يَكُنْ　　　مَا قَدْ ظَنَنْتُ فَقَدْ ظَفِرْتُ وخَابُوْا

قَالَ سِيْبَوَيْهِ:(وكُلَّمَا أرَدْتَ الإلْغَاءَ فَالتَّأْخِيْرُ أقْوَى)[١٤٤] ، لِذَلِكَ حَمَلَ الأعْلَمُ الشَّنْتَمَرِيُّ قَوْلَ اللَّعِيْنِ عَلَى نِيَّةِ تَأْخِيْرِ الْفِعْلِ، والتَّقْدِيْرُ عِنْدَهُ: وَفِي الأرَاجِيْزِ اللُّؤْمُ والْخَوَرُ خِلْتُ ذَلِكَ[١٤٥]، قَالَ سِيْبَوَيْهِ:(

وَإنَّمَا كَانَ التَّأْخِيْرُ أقْوَى[يُرِيْدُ إلْغَاءَ الْمُتَأَخِّرِ أقْوَى مِنْ إعْمَالِهِ]، لأنَّهُ إنَّمَا يَجِيئُ بالشَّكِّ بَعْدَمَا يَمْضِي كَلامُهُ عَلَى الْيَقِيْنِ، أَوْ بَعْدَمَا يَبْتَدِئُ وَهُوَ يُرِيْدُ الْيَقِيْنَ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الشَّكُّ، كَمَا تَقُوْلُ: عَبْدُ اللهِ صَاحِبُ ذَاكَ بَلَغَنِي، وَكَمَا قَالَ: مَنْ يَقُوْلُ ذَاكَ تَدْرِي، فَأَخَّرَ مَا لَمْ يَعْمَلْ فِي أَوَّلِ كَلامِهِ، وإنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ فِيْمَا بَلَغَهُ بَعْدَمَا مَضَى كَلامُهُ عَلَى الْيَقِيْنِ وفِيْمَا يَدْرِي... وكُلَّمَا طَالَ الْكَلامُ ضَعُفَ التَّأْخِيْرُ إذَا أعْمَلْتَ، وذَلِكَ قَوْلُكَ: زَيْدَاً أخَاكَ أظُنُّ، فَهَذَا ضَعِيْفٌ كَمَا يَضْعُفُ: زَيْدَاً قَائِمَاً ضَرَبْتُ، لأنَّ الْحَدَّ أنْ يَكُوْنَ الْفِعْلُ مُبْتَدَأً إذَا عَمِلَ)[١٤٦] ، وقَالَ الْجُرْجَانِيُّ:(لأنَّ الْفِعْلَ لا حَظَّ لَهُ فِي التَّقَدُّمِ بِوَجْهٍ، وإذَا كَانَ كَذَلِكَ ضَعُفَ أمْرُهُ وحَسُنَ إلْغَاؤُهُ لأجْلِ أنَّكَ إذَا لَفَظْتَ الْجُزْئَيْنِ قَبْلَ الْفِعْلِ كَانَ الابْتِدَاءُ أقْرَبَ إلَيْهِمَا مِنَ الْفِعْلِ وأوْلَى الْعَامِلَيْنِ الأقْرَبُ، ولَيْسَ كَذَلِكَ حَالُ التَّوَسُّطِ، لأنَّكَ إذَا لَفَظْتَ بأَحَدِ الْجُزْئَيْنِ بَعْدَ الْفِعْلِ لَمْ يَكُنِ الابْتِدَاءُ بأَقْرَبَ إلَيْهِ بَلْ كَانَ مَرْتَبَةُ الابْتِدَاءِ مُسَاوِيَةً لِمَرْتَبَةِ الْفِعْلِ لأجْلِ أنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُزْئَيْنِ لا يَتِمُّ إلاَّ بصَاحِبِهِ، والابْتِدَاءُ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْجُزْءِ الأوَّلِ، والْفِعْلُ عَلَى الثَّانِي فَهُمَا كَشَيْءٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَهُمَا لِهَذَا أنْ يَأْخُذَهُ أخَذَ ذَلِكَ حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ، وأمَّا حَالُ التَّقْدِيْمِ نَحْوُ: ظَنَنْتُ زَيْدَاً مُنْطَلِقَاً، فَلَيْسَ للابْتِدَاءِ فِيْهِ حَظٌّ بِوَجْهٍ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَجُزْ إلاَّ الإعْمَالُ [١٤٧]).

نَفْهَمُ مِنْ كَلامِ النُّحَاةِ أنَّ سَبَبَ إعْمَالِ الْفِعْلِ وإلْغَائِهِ يَكْمُنُ فِي قُوَّةِ الْفِعْلِ وضَعْفِهِ، إنْ قَوِيَ وَجَبَ إعْمَالُهُ وامْتَنَعَ إلْغَاؤُهُ، وإنِ اعْتَرَاهُ وَهْنٌ جَازَ إلْغَاؤُهُ، وقُوَّتُهُ فِي تَصَدُّرِهِ، وضَعْفُهُ فِي تَنَحِّيْهِ عَنِ الصَّدْرِ وتَزَحْزُحِهِ عَنْهُ، ووُقُوْعِهِ وَسَطَاً بَيْنَ مَعْمُوْلَيْهِ أوْ مُتَأَخِّرَاً عَنْهُمَا، فَكُلَّمَا تَبَاعَدَ عَنِ الصَّدْرِ، وطَالَ الْكَلامُ وتَأَخَّرَ ضَعُفَ إعْمَالُهُ، وقَوِيَ إلْغَاؤُهُ، فَإذَنْ قَوْلُكَ:(زَيْدَاً ظَنَنْتُ مُسَافِرَاً) أقْوَى مِنْ قَوْلِكَ:(زَيْدَاً مُسَافِرَاً ظَنَنْتُ)، وَهَذَا أقْوَى مِنْ قَوْلِكَ:(زَيْدَاً مُسَافِرَاً الْيَوْمَ ظَنَنْتُ)[١٤٨] ، أمَّا الْمَعْنَى فَلا حَظَّ لَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ ولا نَصِيْبَ، فَهُوَ مُطَّرَحٌ عِنْدَهُمْ لا قِيْمَةَ لَهُ ولا أثَرَ، ولا يُقَيِّدُ الْكَلامَ ولا يُؤَثِّرُ فِي تَرْكِيْبِهِ، وإنَّمَا الْعَامِلُ هُوَ مَا يُقَيِّدُ الْكَلامَ ويُؤَثِّرُ فِي تَرْكِيْبِهِ، وكَأَنَّ الْغَرَضَ مِنَ الْكَلامِ لَيْسَ إلاَّ مُرَاعَاةَ الْعَامِلِ والالْتِزَامَ بِشُرُوْطِهِ والتَّقَيُّدَ بأوَامِرِهِ ونَوَاهِيْهِ، ولَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهُ التَّعْبِيْرَ عَنِ الْمَعْنَى الْمُعْتَمِلِ فِي صَدْرِ الْمُتَكَلِّمِ، فَهُوَ، أعْنِي الْمَعْنَى، مُهْمَلٌ، لا يُفْطَنُ إلَيْهِ ولا يُلْتَفَتُ، لَقَدْ غَلَّبُوْا عَلَيْهِ الْعَامِلَ الَّذِي لا وُجُوْدَ لَهُ إلاَّ فِي أذْهَانِ النُّحَاةِ، وجَعَلُوْا لَهُ كُلَّ الأثَرِ فِي التَّرْكِيْبِ، مَعَ أنَّ الْعَرَبِيَّ، صَاحِبَ اللُّغَةِ، كَانَ يَجْهَلُ هَذَا الْعَامِلَ ولا يَعْرِفُهُ، وإنَّمَا كَانَ يَتَكَلَّمُ بِحَسَبِ الْمَعْنَى، ويُرَكِّبُ كَلامَهُ بِمُوْجَبِ هَذَا الْمَعْنَى ومُقْتَضَاهُ.

لا جَرَمَ إنَّ النُّحَاةَ أوْلَوْا الْمَعْنَى عِنَايَتَهُمْ واهْتِمَامَهُمْ فِي مُعْظَمِ أبْوَابِ النَّحْوِ، فَفِي بَابِ الْفَاعِلِ، عَلَى سَبِيْلِ التَّمْثِيْلِ لا الْحَصْرِ، أوْجَبُوْا تَقْدِيْمَ الْمَفْعُوْلِ عَلَى عَامِلِهِ فِي نَحْوِ(إيَّاكَ أكْرَمْتُ) لِغَرَضٍ مَعْنَوِيٍّ وَهُوَ التَّخْصِيْصُ، فَلِتَخْصِيْصِكَ الإكْرَامَ بـ (إيَّاكَ) قَدَّمْتَهُ عَلَى الْعَامِلِ، والتَّخْصِيْصُ، وَهُوَ غَرَضٌ مَعْنَوِيٌّ، لازِمٌ للتَّقْدِيْمِ، وكَذَا أوْجَبُوْا تَأْخِيْرَ الْمَحْصُوْرِ فِي نَحْوِ(إنَّمَا أكْرَمَ زَيْدٌ عَمْرَاً)و(مَا أكْرَمَ زَيْدٌ إلاَّ عَمْرَاً) لأنَّ تَقْدِيْمَهُ يُفْضِي إلَى تَغْيِيْرِ الْمَعْنَى، وغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيْرٌ، وَهُمْ مَعَ اهْتِمَامِهِمْ بِالْمَعْنَى فِي هَذِهِ الأبْوَابِ يَبْقَى الْعَامِلُ عِنْدَهُمْ مُقَدَّمَاً عَلَيْهِ، وأمَّا فِي بَابِ الإلْغَاءِ فَلَمْ يَحْظَ بِعِنَايَتِهِمْ، فَقَدْ أهْمَلُوْهُ ولَمْ يَلْتَفِتُوْا إلَيْهِ الْبَتَّةَ، ولا يُخْفَى مَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَجَنٍّ عَلَيْهِ، وإجْحَافٍ بِحَقِّهِ وبِحَقِّ الْعَرَبِيِّ، صَاحِبِ اللُّغَةِ.

لَمْ يَكُنِ الْعَرَبِيُّ يَعْرِفُ الْعَامِلَ ولا قُوَّتَهُ أوْ ضَعْفَهُ فَيُعْمِلُ مُرَاعِيَاً تِلْكَ الْقُوَّةَ، أوْ يُلْغِي تَأَثُّرَاً بِضَعْفِهِ وَعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْعَمَلِ، وإنَّمَا الَّذِي كَانَ يَعْرِفُهُ ويُرَاعِيْهِ هُوَ الْمَعْنَى، وبِحَسَبِ هَذَا الْمَعْنَى كَانَ يُعْمِلُ ويُلْغِي لا بِحَسَبِ قُوَّةِ الْعَامِلِ أوْ ضَعْفِهِ، فَإنْ أرَادَ الشَّكَّ أعْمَلَ وقَالَ: ظَنَنْتُ زَيْدَاً مُسَافِرَاً، وإنْ أرَادَ الْيَقِيْنَ ألْغَى وقَالَ: ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، لأنَّ قَوْلَهُ: ظَنَنْتُ زَيْدَاً مُسَافِرَاً، جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الشَّكِّ، ولا يُؤَثِّرُ فِي ذَلِكَ كَوْنُ الْعَامِلِ مُتَقَدِّمَاً، كَمَا مُثِّلَ، أوْ وَسَطَاً، نَحْوُ(زَيْدَاً ظَنَنْتُ مُسَافِرَاً)، أوْ مُتَأَخِّرَاً، نَحْوُ(زَيْدَاً مُسَافِرَاً ظَنَنْتُ)، فَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَهُوَ أنَّ شَكَّهُ فِي سَفَرِ زَيْدٍ قَائِمٌ.

وأمَّا قَوْلُهُ: ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، فَجُمْلَتَانِ، الأُوْلَى مَلْغِيَّةٌ لَفْظَاً ومَعْنًى، وَهِيَ جُمْلَةُ الشَّكِّ(ظَنَنْتُ)، والثَّانِيَةُ هِيَ الْمُرَادَةُ والْكَلامُ مَبْنِيٌّ عَلَيْهَا، وَهِيَ جُمْلَةُ الْيَقِيْنِ(زَيْدٌ مُسَافِرٌ)، فَالْكَلامُ

هَهُنَا مَبْنِيٌّ عَلَى الْيَقِيْنِ، ولَكِنَّهُ بَدَأَ بالشَّكِّ فَقَالَ: ظَنَنْتُ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْيَقِيْنُ، إذْ تَذَكَّرَ أَنَّ سَفَرَ زَيْدٍ قَدْ حَصَلَ فَأَلْغَى ظَنَّهُ وبَدَأَ بِكَلامٍ جَدِيْدٍ مَبْدُوْءٍ بالْمُبْتَدَأ يَلِيْـهِ خَبَرُهُ، فَقَالَ: زَيْدٌ مُسَافِرٌ، أَوْ أَنَّـهُ أَرَادَ أَنْ يَقُوْلَ: زَيْدٌ مُسَافِرٌ، فَذَكَرَ(ظَنَنْتُ) غَلَطَاً أَوْ تَوَهُّمَاً، ونَظِيْرُ هَذَا قَوْلُكَ فِي بَابِ بَدَلِ الْغَلَطِ: رَأَيْتُ رَجُلاً حِمَارَاً، أَرَدْتَ الإخْبَارَ بأَنَّكَ رَأَيْتَ حِمَارَاً فَغَلِطْتَ بِذِكْرِ الرَّجُلِ، ويُقَوِّيْـهِ عَدَمُ وُرُوْدِ الإلْغَاءِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيْزِ كَمَا لَمْ يَرِدْ فِيْهِ بَدَلُ الْغَلَطِ، أَوْ أَنَّـه ذَكَرَ الظَّنَّ أَوَّلاً لِيُبْهِمَ عَلَى السَّامِعِ، أَوْ لأيِّ غَرَضٍ آخَرَ، ولا فَرْقَ فِي ذَلِكَ أَيْضَاً سَوَاءٌ كَانَ الْعَامِلُ مُتَقَدِّماً عَلَى الْمَعْمُوْلَيْنِ، كَمَا مُثِّلَ، أَوْ كَانَ وَسَطَاً بَيْنَهُمَا، أَوْ مُتَأَخِّرَاً عَنْهُمَا، إذْ إنَّهُ بَنَى كَلامَهُ عَلَى الْيَقِيْنِ فَقَالَ أَوَّلاً: زَيْدٌ مُسَافِرٌ، ثُمَّ اعْتَرَضَ بالظَّنِّ بَيْنَ الْمُبْتَدَأ والْخَبَرِ، أَوْ ذَكَرَ الظَّنَّ آخِرَاً لَغْوَاً أَوْ إيْهَامَاً عَلَى السَّامِعِ، قَالَ أَحَدُهُمْ يُعَلِّلُ لِجَوَازِ إلْغَاءِ الْمُتَأَخِّرِ أَوِ الْمُتَوَسِّطِ: إنَّ الْمُتَكَلِّمَ بَعْدَ أَنْ بَنَى كَلامَهُ عَلَى الإخْبَارِ الْمُجَرَّدِ عَنِ الْيَقِيْنِ أَوِ الشَّكِّ عَرَضَ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ يَقِيْنٌ أَوْ شَكٌّ مِنْهُ فَأَتَى بِمَا يَدُلُّ عَلَى مُرَادِهِ بَعْدَمَا أَتَى بالْجُمْلَةِ بِتَمَامِهَا أَوْ بأَحَدِ جُزْأَيْهَا فَيَكُوْنُ الْفِعْلُ زَائِدَاً فِي الْكَلامِ زِيَادَةَ(كَانَ) فِي نَحْو: مَا كَانَ أَحْسَنَ زَيْدَاً،[١٤٩] ولَيْسَ الأمْرُ كَمَا زَعَمَ ابْنُ عُصْفُوْرٍ، قَالَ:(فَإنْ قِيْلَ: فَلأيِّ شَيْءٍ لَمْ تُلْغَ إلاَّ مُتَوَسِّطَةً أَوْ مُتَأَخِّرَةً؟ فَالْجَوَابُ: إنَّهَا إذَا كَانَتْ فِي أَوَّلِ الْكَلامِ كَانَ مَا بَعْدَهَا مَبْنِيَّاً عَلَيْهَا، وإنْ لَمْ تَكُنْ فِي أَوَّلِ الْكَلامِ فَإنَّكَ إنْ أَعْمَلْتَهَا قَدَّرْتَ أَيْضَاً أَنَّ الْكَلامَ مَبْنِيٌّ عَلَيْهَا، وإذَا أَلْغَيْتَهَا قَدَّرْتَ أَنَّ الْكَلامَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنْ لا يَكُوْنَ فِيْـهِ فِعْلٌ مِنْ هَذِهِ الأفْعَالِ، ثُمَّ عَرَضَ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَرَدْتَ أَنْ تَذْكُرَ هَذِهِ الأفْعَالَ لِتَجْعَلَ ذَلِكَ الْكَلامَ فِيْمَا تَعْلَمُ أَوْ فِيْمَا تَظُنُّ أَوْ فِيْمَا تَزْعُمُ، فَكَأَنَّكَ إذَا قُلْتَ: زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ ظَنَنْتُ أَوْ عَلِمْتُ أَوْ زَعَمْتُ، أَرَدْتَ أَنْ تَقُوْلَ أَوَّلاً: زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، ثُمَّ أَرَدْتَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تُبَيِّنَ أَنَّ مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ قَوْلِكَ: زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، مَعْلُوْمٌ عِنْدَكَ أَوْ مَظْنُوْنٌ أَوْ مَزْعُوْمٌ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ عُقَيْبَ قَوْلِكَ: زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، فِيْمَا أَظُنُّ أَوْ فِيْمَا أَزْعُمُ)[١٥٠]، وعَلَى هَذَا أَنَّ مَعْنَى قَوْلِنَا: (ظَنَنْتُ زَيْدَاً مُنْطَلِقَاً)و(زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ ظَنَنْتُ) وَاحِدٌ، ولا أَرَاهُ كَذَلِكَ، لأنَّهُ، كَمَا قَالُوْا هُمْ أَنْفُسُهُمْ، الْعُدُوْلُ مِنْ تَعْبِيْرٍ إلَى تَعْبِيْرٍ يَصْحَبُهُ تَغْيِيْرٌ فِي الْمَعْنَى، وعَلَى هَذَا لَيْسَ مَعْنَى الْقَوْلَيْنِ وَاحِدَاً، وأَيْضَاً لَوْ كَانَ مَعْنَى الْقَوْلَيْنِ وَاحِدَاً، كَمَا زَعَمُوْا، مَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ يُؤَخِّرُ الْفِعْلَ مَا دَامَ تَأْخِيْرُهُ ضَائِعَاً لا يُؤَدِّي غَرَضَاً.

أَوْجَبَ الأخْفَشُ إلْغَاءَ الْمُتَقَدِّمِ والْمُتَوَسِّطِ والْمُتَأَخِّرِ خِلافَاً لِلْجُمْهُوْرِ، لأنَّ الْمَعْنَى، عِنْدَهُ، هُوَ الَّذِي يُوْجِبُ الإعْمَالَ أَوِ الإلْغَاءَ، فَإنِ ابْتَدَأْتَ لِتُخْبِرَ بِمَدْلُوْلِ ذَلِكَ الْفِعْلِ مِنْ شَكٍّ أَوْ غَيْرِهِ أَعْمَلْتَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ سَوَاءٌ قَدَّمْتَهُ أَوْ وَسَّطْتَهُ أَوْ أَخَّرْتَهُ، وإنْ ابْتَدَأْتَ وأَرَدْتَ جَعْلَ الْخَبَرِ شَكَّاً أَوْ غَيْرَهُ أَلْغَيْتَ وابْتَدَأْتَ،قَالَ، ونِعْمَ مَا قَالَ:(إنْ بَدَأْتَ لِتُخْبِرَ بالشَّكِّ أَعْمَلْتَ عَلَى كُلِّ حَالٍ،وإنْ بَدَأْتَ وأَنْتَ تُرِيْدُ الْيَقِيْنَ ثُمَّ أَدْرَكَكَ الشَّكُّ رَفَعْتَ بِكُلِّ حَالٍ)،[١٥١] فَالإعْمَالُ لازِمٌ بِحَسَبِ الْمَعْنَى، وكَذَا الإلْغَاءُ، لا كَمَا قَالَ الْبَصْرِيُّوْنَ بأَنَّكَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الإلْغَاءِ والإعْمَالِ إنْ تَوَسَّطَ الْفِعْلُ أَوْ تَأَخَّرَ، وصَحِيْحٌ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ الْكُوْفِيُّوْنَ، مَا عَدَا الْفَرَّاءُ مِنْهُمْ، والأخْفَشُ مِنْ جَوَازِ إلْغَاءِ الْمُتَقَدِّمِ الَّذِي أَصَرَّ الْبَصْرِيُّوْنَ عَلَى مَنْعِهِ،[١٥٢] مَأْخُوْذِيْنَ بالْعَامِلِ ومُتَأَثِّرِيْنَ بِقُوَّتِـهِ وضَعْفِهِ، لأنَّ الإعْمَالَ أَوِ الإلْغَاءَ إنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ الْمَعْنَى، فَإنْ أَرَدْتَ الشَّكَّ أَعْمَلْتَ، وإنْ أَرَدْتَ الْيَقِيْنَ أَلْغَيْتَ، وَقَعَ الْفِعْلُ مُتَقَدِّمَاً أَوْ وَسَطَاً أَوْ مُتَأَخِّرَاً، ولا يُقَالُ: إلْغَاءُ الْمُتَقَدِّمِ مُمْتَنِعٌ، وإعْمَالُ الْمُتَوَسِّطِ أَرْجَحُ مِنْ إلْغَائِهِ، وإلْغَاءُ الْمُتَأَخِّرِ أَرْجَحُ مِنْ إعْمَالِهِ، كَمَا قَالَ الْبَصْرِيُّوْنَ، وإنَّمَا ذَلِكَ مَوْكُوْلٌ إلَى الْمَعْنَى ومَرْهُوْنٌ بِهِ، قَالَ سِيْبَوَيْهِ مُتَحَرِّرَاً مِنْ قَيْدِ الْعَامِلِ بَعْضَ التَّحَرُّرِ:(فَإذَا ابْتَدَأَ كَلامَهُ عَلَى مَا فِي نِيَّتِهِ مِنَ الشَّكِّ أَعْمَلَ الْفِعْلَ قَدَّمَ أَوْ أَخَّرَ، كَمَا قَالَ: زَيْدَاً رَأَيْتُ، ورَأَيْتُ زَيْدَاً).[١٥٣]

أَلا تَرَى أَنَّ أَبَا ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِيَّ لَمَّا فَقَدَ أَبْنَاءَهُ قَدْ لَبِثَ بَعْدَهُمْ بِعَيْشٍ ذِي تَعَبٍ وإعْيَاءٍ وكَدٍّ وجَهْدٍ حَتَّى خُيِّلَ إلَيْهِ أَنَّهُ سَيَلْحَقُهُمْ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ يَقِيْنٌ بأَنْ لا مَحَالَ مِنْ ذَلِكَ فَأَلْغَى خَيَلانَهُ وشَكَّهُ فَقَالَ: إنِّي لاحِقٌ مُسْتَتْبَعٌ، فَلَوْ كَانَ شَكُّهُ قَائِمَاً مُسْتَمِرَّاً مَا جَازَ أَنْ يُؤَكِّدَ لُحُوْقَهُ بِهِمْ بِـ (إنَّ)، لأنَّ الْمُلْغَى لا يُؤَكَّدُ،[١٥٤] والدَّلِيْلُ عَلَى كَوْنِ الشَّكِّ مُلْغَى لَفْظَاً ومَعْنًى، وأَنَّ الْكَلامَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْيَقِيْنِ وُقُوْعُ الْفِعْلِ الْمُلْغَى لَغْوَاً فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ، مِنْهَا: وُقُوْعُهُ بَيْنَ(سَوْفَ) ومَصْحُوْبِهَا فِي قَوْلِ زُهَيْرٍ:

وَمَا أَدْرِي وسَوْفَ إخَالُ أَدْرِي أَ قَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

ومِنْهَا: وُقُوْعُهُ بَيْنَ اسْمِ الْفَاعِلِ ومَعْمُوْلِهِ فِي قَوْلِ عَقِيْلِ بْنِ عُلَّفَةَ الْجُهَنِيِّ:

وَلَسْتُمْ فَاعِلِيْنَ، إِخَالُ، حَتَّى   يَنَالَ أَقَاصِيَ الْحَطَب الْوُقُوْد

فَقَدْ وَقَعَ الْجَارُّ والْمَجْرُوْرُ(حَتَّى يَنَالَ) الْمُتَعَلِّقَانِ باسْمِ الْفَاعِلِ مَفْصُوْلاً بَيْنَهُمَا وبَيْنَ اسْمِ الْفَاعِلِ بِـ (إِخَالُ)، ومِنْهَا: وُقُوْعُهُ بَيْنَ الْمَعْطُوْفِ والْمَعْطُوْفِ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ:

فَمَا جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ أَقْبَلَتْ تَبْتَغِي   وَلَكِنْ دَعَاكَ الْخُبْزُ أَحْسَبُ والتَّمْرُ

ومِنْهَا: وُقُوْعُهُ بَيْنَ مَعْمُوْلَيْ(إِنَّ)، كَقَوْلِهِ:

إِنَّ الْمُحِبَّ عَلِمْتُ مُصْطَبِرٌ   وَلَدَيْهِ ذَنْبُ الْحُبِّ مُغْتَفَرٌ

قُلْنَا: الْكَلامُ فِي الْمُلْغَى جُمْلَتَانِ لا جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ، وهَذَا يُفْهَمُ مِنْ كَلامِهِمْ، ويَدُلُّ عَلَيْهِ أُمُوْرٌ، مِنْهَا: تَصْرِيْحُهُمْ بِذلِكَ، أَعْنِي بِكَوْنِهِ جُمْلَتَيْنِ، قَالُوْا: يَمْتَنِعُ الإِلْغَاءُ فِي الْمُتَقَدِّمِ، فَلا يُقَالُ: ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، لِقُوَّةِ الْفِعْلِ بِالتَّقَدُّمِ، ولِكَوْنِ النَّصْبِ عَامِلاً لَفْظِيَّاً، وأَمَّا الرَّفْعُ فَعَلَى الابْتِدَاءِ، وَهُوَ عَامِلٌ مَعْنَوِيٌّ، واللَّفْظِيُّ يَغْلِبُ الْمَعْنَوِيَّ،[١٥٥] أَيْ أَنَّ الرَّفْعَ يَعْنِي أَنَّ مَا بَعْدَ(ظَنَنْتُ) جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ لا عَلاقَةَ لَهَا بِمَا قَبْلَهَا، أَعْنِي بِجُمْلَةِ(ظَنَنْتُ)، وَلَكِنْ لِكَوْنِ الْفِعْلِ مُتَقَدِّماً، وَهُوَ عَامِلٌ لَفْظِيٌّ، غَلَبَ الابْتِدَاءَ، فَامْتَنَعَ الإِلْغَاءُ وصَارَ الْكَلامُ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

ومِنْهَا: إِجْمَاعُهُمْ عَلَى وُجُوْبِ إِلْغَاءِ الْمُتَوَسِّطِ إِذَا أُقْتُرِنَ الاسْمُ الْمُتَقَدِّمُ بِلامِ الابْتِدَاءِ، نَحْوُ: لَزَيْدٌ ظَنَنْتُ مُسَافِرٌ،[١٥٦] وإِنَّمَا وَجَبَ الإِلْغَاءُ هَهُنَا لاقْتِرَانِ الْمُبْتَدَأ بِلامِ الابْتِدَاءِ، ولِلَامِ الابْتِدَاءِ الصَّدَارَةُ فِي الْكَلامِ، وهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ مَا قَبْلَهَا لا يَعْمَلُ فِيْهَا ولا فِيْمَا بَعْدَهَا، فَلَوْ عَمِلَ لَخَرَجَتْ أَنْ يَكُوْنَ لَهَا الصَّدْرُ،[١٥٧] إِذَنْ مَا بَعْدَهَا جُمْلَةٌ وَهِيَ يَقِيْنٌ مُؤَكَّدٌ، لَكِنَّهَا أُعْتُرِضَتْ بِجُمْلَةِ(ظَنَنْتُ) وَهِيَ شَكٌّ مُلْغًى لَفْظاً ومَعْنًى، فَلَوْ كَانَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مَا جَازَ دُخُوْلُ اللامِ هُنَا، لأَنَّ الْفِعْلَ الْمُلْغَى لا يُؤَكَّدُ، كَمَا تَقَدَّمَ، إِذْ إِنَّ إِلْغَاءَهُ دَلِيْلُ عَدَمِ الاهْتِمَامِ بِهِ، وتَوْكِيْدَهُ دَلِيْلُ الاعْتِنَاءِ بِهِ فَيَتَنَافَرَانِ، ولَمَّا دَخَلَتِ اللامُ عَلَى جُمْلَةِ(زَيْدٌ مُسَافِرٌ) دَلَّ أَنَّهَا جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ عَنْ(ظَنَنْتُ) لا عَلاقَةَ لَهَا ولا ارْتِبَاطَ.

ومِنْهَا: تَقْدِيْرُ الْبَصْرِيِّيْنَ ضَمِيْرَ الشَّأْنِ فِي إِلْغَاءِ الْمُتَقَدِّمِ فِي نَحْوِ: ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، والتَّقْدِيْرُ عِنْدَهُمْ: ظَنَنْتُهُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، ومَعْلُوْمٌ أَنَّ خَبَرَ ضَمِيْرِ الشَّأْنِ لَا يَكُوْنُ إِلاَّ جُمْلَةً.

إِذَنْ قَوْلُنَا:(ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ)و(زَيْدٌ ظَنَنْتُ مُسَافِرٌ) جُمْلَتَانِ، الأُوْلَى فِعْلِيَّةٌ أُلْغِيَ فِعْلُهَا لَفْظاً ومَعْنًى، والثَّانِيَةُ اسْمِيَّةٌ هِيَ الْمُرَادَةُ، وَعَلَيْهَا بِنَاءُ الْكَلامِ، وكَذَا قَوْلُنَا:(زَيْدٌ مُسَافِرٌ ظَنَنْتُ) جُمْلَتَانِ، الأُوْلَى اسْمِيَّةٌ هِيَ الْمُرَادَةُ، والْمَبْنِيُّ عَلَيْهَا الْكَلامُ، والثَّانِيَةُ فِعْلِيَّةٌ قَدْ أُلْغِيَ فِعْلُهَا وصَارَ لَغْوَاً، فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِنَا فِي بَابِ الْبَدَلِ فِي نَحْوِ: رَأَيْتُ رَجُلاً حِمَاراً، إِذْ أَرَدْنَا الإِخْبَارَ أَوَّلاً أَنَّا رَأَيْنَا حِمَاراً فَغَلِطْنَا بِذِكْرِ الرَّجُلِ فَصَارَ لَغْوَاً، وهَذَا يَعْنِي أَنَّ هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ مُتَعَارِضَتَانِ فِي الْمَعْنَى، إِحْدَاهُمَا شَكٌّ مُلْغًى، والأُخْرَى يَقِيْنٌ عَلَيْهَا بِنَاءُ الْكَلامِ، وَقَدْ يُقَالُ: إِنْ كَانَ هَذَا يَصْدُقُ عَلَى كَلامِ فِعْلُهُ دَالٌّ عَلَى الشَّكِّ فَلا يَصْدُقُ فِيْمَا كَانَ فِعْلُهُ دَالاًّ عَلَى الْيَقِيْنِ، فَلا يُقَالُ فِي نَحْوِ: عَلِمْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، الْكَلامُ هُنَا جُمْلَتَانِ، الأُوْلَى فِعْلِيَّةٌ أُلْغِيَ فِعْلُهَا، والثَّانِيَةُ اسْمِيَّةٌ هِيَ الْمُرَادَةُ، إِذْ لا مَعْنَى لِلإِلْغَاءِ هُنَا، لأَنَّ إِحْدَاهُمَا لا تُخَالِفُ الأُخْرَى فِي مَعْنَاهَا ولا تُعَارِضُهَا، فَهِيَ هِيَ، لأَنَّ جُمْلَةَ(عَلِمْتُ) يَقِيْنٌ، وجُمْلَةَ(زَيْدٌ مُسَافِرٌ) أَيْضَاً يَقِيْنٌ.

نَقُوْلُ: هَذَا ونَحْوُهُ لَيْسَ مِنْ بَابِ الإِلْغَاءِ، وإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ التَّعْلِيْقِ عَلَى إِضْمَارِ لامِ الابْتِدَاءِ، والتَّقْدِيْرُ: عَلِمْتُ لَزَيْدٌ مُسَافِرٌ، والْكَلامُ هُنَا أَيْضَاً جُمْلَتَانِ، الأُوْلَى فِعْلِيَّةٌ غَيْرُ مُؤَكَّدَةٍ، هِيَ(عَلِمْتُ)، والثَّانِيَةُ اسْمِيَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ بِلامِ الابْتِدَاءِ الْمُقَدَّرَةِ، هِيَ(لَزَيْدٌ مُسَافِرٌ)، فَقَدْ بَدَأَ الْمُتَكَلِّمُ بِالْيَقِيْنِ فَقَالَ: عَلِمْتُ، وَهُوَ خَبَرٌ يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ والْكَذِبَ، فَقَدْ يَشُكُّ الْمُخَاطَبُ فِي عِلْمِهِ ويَتَوَهَّمُ خِلافَ ذَلِكَ، فَأَكَّدَ دَفْعَاً لِلشَّكِّ وإِزَالَةً لِلتَّوَهُّمِ فَقَالَ: لَزَيْدٌ مُسَافِرٌ، أَوْ: زَيْدٌ مُسَافِرٌ، عَلَى تَقْدِيْرِ اللامِ، ولَيْسَتِ الْجُمْلَتَانِ هَهُنَا كَالْجُمْلَتَيْنِ فِي بَابِ(ظَنَّ)، إِذْ إِنَّ الْجُمْلَتَيْنِ هُنَاكَ مُتَخَالِفَتَانِ مَعْنًى، إِحْدَاهُمَا شَكٌّ فِعْلُهَا مُلْغًى لَفْظاً ومَعْنًى، وأُخْرَاهُمَا يَقِيْنٌ بُنِيَ الْكَلامُ عَلَيْهَا، وأَمَّا هَهُنَا فَلا تَعَارُضَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْمَعْنَى، لأَنَّ كِلْتَيْهِمَا يَقِيْنٌ، الأُوْلَى فِعْلِيَّةٌ أُلْغِيَ فِعْلُهَا لَفْظاً دُوْنَ مَعْنًى، والثَّانِيَةُ اسْمِيَّةٌ هِيَ الأُوْلَى نَفْسُهَا فِي الْمَعْنَى، ولَكِنْ بِزِيَادَةِ التَّوْكِيْدِ، فَـ (عَلِمْتُ) يَقِيْنٌ، و(لَزَيْدٌ مُسَافِرٌ) أَيْضَاً يَقِيْنٌ، ولَكِنَّهُ يَقِيْنٌ مُؤَكَّدٌ بِاللامِ، ونَظِيْرُ هَذَا قَوْلُكَ: زَيْدٌ مُسَافِرٌ، فِي احْتِمَالِهِ الصِّدْقَ والْكَذِبَ، لأَنَّهُ خَبَرٌ، فَإِنْ أَرَدْتَ دَفْعَ

الْكَذِبِ أكَّدْتَ فَقُلْتَ: لَزَيْدٌ مُسافِرٌ، وإذَا تَقَرَّرَ هَذَا قُلْنَا: إنَّ الإلْغَاءَ لا يَجُوزُ إلاَّ فِي أفْعَالِ الظَّنِّ، وإنْ وَرَدَ مَا يُوْهِمُ إلْغَاءَ فِعْلِ الْيَقِيْنِ فَهُوَ لَيْسَ مِنْهُ، وإنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ التَّعْلِيْق.

ومَا قِيْلَ عَنْ إلْغَاءِ أفْعَالِ الْيَقِيْنِ يُقَالُ عَنْ إلْغَاءِ أفْعَالِ الظَّنِّ الْمَنْفِيَّةِ فِي نَحْوِ: مَا ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، فَقَدْ مَنَعَ النُّحَاةُ إلْغَاءَ الْمَنْفِيِّ، قَالَ أبُو حَيَّانَ:(لأنَّهُ لا يَجُوزُ لَكَ أنْ تَبْنِي كَلامَكَ عَلَى الْخَبَرِ الْمُثْبَتِ ثُمَّ تَعْتَرِضَ بالظَّنِّ الْمَنْفِيِّ، ألا تَرَى أنَّهُ لا يَجُوْزُ لَكَ أنْ تَقُوْلَ: زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، إلاَّ وأنْتَ عَالِمٌ بِصِحَّةِ ذَلِكَ، أوْ ظَانٌّ لَهُ، وَهَذَا الْمَعْنَى لا يُتَصَوَّرُ مَعَ قَوْلِكَ: لَمْ أظُنَّ أوْ لَمْ أعْلَمْ، فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ أنْ يَكُوْنَ الْكَلامُ مَبْنِيَّاً عَلَى الظَّنِّ الْمَنْفِيِّ أوِ الْعِلْمِ الْمَنْفِيِّ)[١٥٨] ، وقَالُوْا: يَتَعَيَّنُ إعْمَالُ الْمُتَوَسِّطِ الْمَنْفِيِّ فِي نَحْوِ: زَيْدَاً لَمْ أظُنَّ مُسافِرَاً،[١٥٩] (لِئَلاَّ يُتَوَهَّمَ أنَّ الصَّدْرَ مُثْبَتٌ)[١٦٠] وكَذَا فِي الْمُتَأَخِّرِ مِنْهُ، نَحْوُ: زَيْدَاً مُسَافِرَاً لَمْ أظُنَّ، لأنَّهُ لا يَجُوْزُ أنْ يُبْنَى الْكَلامُ عَلَى الْمُبْتَدأ والْخَبَرِ ثُمَّ يُؤْتَى بالظَّنِّ الْمَنْفِيِّ،[١٦١] فَيُنَاقِضَ صَدْرُ الْكَلامِ عَجُزَهُ الْمَنْفِيَّ، لأنَّ الْفِعْلَ مُوَجَّهٌ فِي الْمَعْنَى إلَى الْمَفْعُوْلَيْنِ،[١٦٢] وَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ يُحْمَلُ عَلَى تَقْدِيْرِ ضَمِيْرِ الشَّأْنِ، أوْ إضْمَارِ لامِ الابْتِدَاءِ، وَعَلَى هَذَيْنِ خَرَّجُوْا قَوْلَ كَعْبِ بْنِ زُهَيْر:

أرْجُوْ وآمُلُ أنْ تَدْنُوْ مَوَدَّتُهَا   وَمَا إخَالُ لَدَيْنَا مِنْكِ تَنْوِيْلُ

نَقُوْلُ كَمَا قَالُوْا: لا يَجُوْزُ إلْغَاءُ الْمَنْفِيِّ، لَكِنْ لَيْسَ لِمَا ذَكَرُوْا، وإنَّمَا لأنَّ الإلْغَاءَ فِي مِثْلِهِ ضَائِعٌ لا يُؤَدِّي غَرَضَاً، ألا تَرَى أنَّ قَوْلَكَ:(مَا ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ) جُمْلَتَانِ، الأُوْلَى(مَا ظَنَنْتُ) يَقِيْنٌ، والثَّانِيَةُ(زَيْدٌ مُسَافِرٌ) أيْضَاً يَقِيْنٌ، فَقَدْ بَدَأْتَ بِنَفْيِ ظَنِّكَ، ونَفْيُ الظَّنِّ يَقِيْنٌ، ثُمَّ قُلْتَ بَعْدُ: زَيْدٌ مُسَافِرٌ، وَهُوَ أيْضَاً يَقِيْنٌ، وقَدْ تَقَدَّمَ أنَّهُ لا يَكُوْنُ لِلإلْغَاءِ مَعْنًى إلاَّ بِتَخَالُفِ الْجُمْلَتَيْنِ أوْ تَعَارُضِهِمَا، ولَيْسَ هُنَا تَعَارُضٌ ولا تَخَالُفٌ، فَكَأنَّكَ قُلْتَ: عَلِمْتُ زَيْدٌ مُسَافِرٌ، فَكَمَا لَمْ يَكُنْ لِلإلْغَاءِ هَهُنَا مَعْنًى فَكَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ مَعْنًى فِي الْفِعْلِ الْمَنْفِي، ومَا وَرَدَ عَنِ الْعَرَبِ مِنْ ذَلِكَ يُحْمَلُ عَلَى التَّعْلِيْق بِتَقْدِيْرِ لامِ الابْتِدَاءِ، أوْ عَلَى الإعْمَالِ بِتَقْدِيْرِ ضَمِيْرِ الشَّأْنِ، وهَذَا أوْلَى لِمَا مَرَّ مِنْ أنَّ الْمُلْغَى لا يُؤَكَّدُ.

هَذَا إذَا كَانَ الْمَنْفِيُّ فِعْلَ شَكٍّ، أمَّا إذَا كَانَ يَقِيْنَاً، نَحْوُ: مَا عَلِمْتُ زَيْدَاً مُسَافِرَاً، فَلا يَجُوْزُ فِيْهِ الإلْغَاءُ أيْضَاً كَمَا لَمْ يَجُزْ فِي مُثْبَتِهِ، ولا يُقَالُ: لِمَ لا يَجُوْزُ وقَدْ تَحَقَّقَ فِيْهِ شَرْطُ الإلْغَاءِ وغَرَضُهُ، إذْ إنَّ نَفْيَ الْعِلْمِ شَكٌّ، فَمَعْنَى(مَا عَلِمْتُ): ظَنَنْتُ، ومَا بَعْدَهُ يَقِيْنٌ، قُلْنَا: لَيْسَ نَفْيُ الْعِلْمِ شَكَّاً، بَلْ نَفْيُهُ جَهْلٌ، ومَعْنَاهُ: جَهِلْتُ سَفَرَ زَيْدٍ، ولَيْسَ(جَهِلَ) مِمَّا يَتَعَدَّى إلَى اثْنَيْنِ كَيْ يَجُوْزَ فِيْهِ الإلْغَاءُ، واللهُ أعْلَمُ.

*   *   *

التَّعْلِيْقُ

تَقَدَّمَ أنَّ الإلْغَاءَ إبْطَالُ عَمَلِ الْفِعْلِ الْقَلْبِيِّ لَفْظَاً وَمَعْنًى لا لِمَانِعٍ لَفْظِيٍّ، وأمَّا التَّعْلِيْقُ فَهُوَ إبْطَالُ عَمَلِهِ لَفْظَاً لا مَعْنًى لِمَانِعٍ لَفْظِيٍّ، نَحْوُ: عَلِمْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ، فَلَمْ يَعْمَلْ(عَلِمْتُ) فِي(لَزَيْدٌ قَائِمٌ) لأجْلِ الْمَانِعِ اللَّفْظِيِّ، وَهُوَ لامُ الابْتِدَاءِ، ولَكِنَّهُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِدَلِيْلِ جَوَازِ الْعَطْفِ عَلَيْهِ بالنَّصْبِ، نَحْوُ: عَلِمْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ وغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أُمُوْرِهِ، بِنَصْبِ(غَيْر) عَطْفَاً عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُعَلَّقِ عَنْهَا،[١٦٣] يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ كُثَيِّرِ عَزَّةَ:

ومَا كُنْتُ أدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ مَا الْبُكَا   ولا مُوْجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ

عَطَفَ(مُوْجِعَاتِ) بالنَّصْبِ بالْكَسْرَةِ، لأنَّهُ جَمْعُ مُؤَنَّثٍ سَالِمٍ، عَلَى مَحَلِّ قَوْلِهِ(مَا الْبُكَا) الَّذِي عُلِّقَ عَنِ الْعَمَلِ فِيْهِ قَوْلُهُ(أدْرِي).

إنَّمَا لَمْ يُبْطَلْ مَعْنَى الْفِعْلِ لأنَّ مَعْنَاهُ بَعْدَ التَّعْلِيْقِ وقَبْلَهُ هُوَ هُوَ، إذْ إنَّ مَعْنَى(عَلِمْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ) هُوَ: عَلِمْتُ قِيَامَ زَيْدٍ، كَمَا كَانَ قَبْلَ التَّعْلِيْقِ وانْتِصَابَ الْجُزْأَيْنِ فِي: عَلِمْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً،[١٦٤] وأمَّا إبْطَالُ لَفْظِهِ فَلِمَجِيْءِ مَا لَهُ صَدْرُ الْكَلامِ بَعْدَهُ، فَلَوْ أُعْمِلَ مَا قَبْلَهُ فِيْهِ أوْ فِيْمَا بَعْدَهُ لَخَرَجَ عَنْ أنْ

يَكُوْنَ لَهُ صَدْرُ الْكَلامِ،[١٦٥]فَأُبْقَيَتِ الْجُمْلَةُ الَّتِي دَخَلَتْهُ عَلَى صُوْرَتِهَا الْجُمَلِيَّةِ رِعَايَةً لأَصْلِهِ، أيْ أَصْلِ مَا لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ،[١٦٦]وَمَا لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ:

لامُ الابْتِدَاءِ: نَحْوُ: عَلِمْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَلَقَدْ عَلِمُوْا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ)[البقرة/١٠٢]فَالْجُمَلَةُ الاسْمِيَّةُ(زَيْدٌ قَائِمٌ) و(مَنِ اشْتَرَاهُ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عُلِّقَ عَنْهُمَا الْعَامِلُ بلامِ الابْتِدَاءِ، لأَنَّ لَهَا الصَّدْرَ وَضْعَاً فَلا يَتَخَطَّاهَا الْعَامِلُ، وأَمَّا تَخَطِّيْهِ إِيَّاهَا فِي نَحْوِ: إِنَّ زَيْدَاً لَقَائِمٌ، حَيْثُ رَفَعَتْ(إِنَّ) الْخَبَرَ الْوَاقِعَ بَعْدَهَا، فَلأَنَّ أَصْلَهَا التَّقْدِيْمُ وأُخِّرَتْ ضَرُوْرَةً لاجْتِمَاعِهَا مَعَ(إِنَّ) إِصْلاحَاً لِلَّفْظِ، إِذْ يَمْتَنِعُ اجْتِمَاعُ حَرْفَيْنِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ.[١٦٧]

حُرُوْفُ النَّفْي:حَرْفُ النَّفْيِ يَلْزَمُ أَيْضَاً الصَّدْرَ ويُعَلِّقُ الْفِعْلَ عَنِ الْعَمَلِ، وَهُوَ:(مَا)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى(وَظَنُّوْا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيْصٍ)[فصلت/٤٨]و(لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُوْنَ)[الأنبياء/٦٥].و(إنْ)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى(وتَظُنُّوْنَ إِنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ قَلِيْلاً)[الإسراء/٥٢].وأَمَّا(لا) فِي نَحْوِ(عَلِمْتُ لا زَيْدٌ فِي الدَّارِ ولا عَمْرٌو)و(عَلِمْتُ لا رَجُلَ فِي الدَّارِ) فَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ السَّرَّاجِ، وعَدَّهَا مِمَّا لَهُ الصَّدْرُ، ووَافَقَهُ النَّحَّاسُ وآخَرُوْنَ،[١٦٨]وأَنْكَرَ غَيْرُهُمْ أَنْ يَكُوْنَ لَهَا صَدْرُ الْكَلامِ لِتَوَسُّطِهَا بَيْنَ الْعَامِلِ والْمَعْمُوْلِ فِي نَحْوِ: إِنْ لا تَقُمْ أَقُمْ، وقَالُوْا: إِنْ وَقَعَتْ فِي صَدْرِ جَوَابِ الْقَسَمِ فَلَهَا حِيْنَئذٍ الصَّدْرُ لِحُلُوْلِهَا مَحَلَّ مَا لَهُ الصَّدْرُ،[١٦٩] واشْتَرَطُوْا فِيْهَا وفِي(إِنْ) أَنْ تَقَعَا فِي جَوَابِ قَسَمٍ مَلْفُوْظٍ، نَحْوُ(عَلِمْتُ واللهِ لا زَيْدٌ فِي الدَّارِ ولا عَمْرٌو)و(عَلِمْتُ واللهِ إِنْ زَيْدٌ قَائِمٌ)، أَوْ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ،نَحْوُ(عَلِمْتُ لا زَيْدٌ فِي الدَّارِ ولا عَمْرٌو)و (عَلِمْتُ إِنْ زَيْدٌ قَائِمٌ)، فَجُمْلَةُ الْقَسَمِ وجَوَابُهُ فِي الأَمْثِلَةِ الأَرْبَعَةِ مُعَلَّقٌ عَنْهَا الْعَامِلُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْمَفْعُوْلِيَّةِ بِـ (عَلِمْتُ)،[١٧٠] فَتَكُوْنَانِ وَاقِعَتَيْنِ فِي صَدْرِ جَوَابِ الْقَسَمِ وتَلْزَمَانِ، حِيْنَئِذٍ، الصَّدْرَ لِحُلُوْلِهِمَا مَحَلَّ مَا لَهُ الصَّدْرُ كـ : إِنَّ ، ولامِ الابْتِدَاءِ، ولَمْ يَشْتَرِطُوْا ذَلِكَ فِي(مَا) لإِجْمَاعِ الْبَصْرِيِّيْنَ عَلَى لُزُوْمِهَا الصَّدْرَ مُطْلَقَاً.[١٧١]

الاسْتِفْهَامُ: وَهوَ إِمَّا حَرْفٌ كَالْهَمْزَةِ اتِّفَاقَاً، نَحْوُ(قَدْ عَلِمْتُ أ زَيْدٌ فِي الدَّارِ أَمْ عَمْرٌو)، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَإِنْ أَدْرِي أ قَرِيْبٌ أَمْ بَعِيْدٌ مَا تُوْعَدُوْنَ)[الأنبياء/١٠٩]و(هَل) عَلَى خِلافٍ فِيْهَا،[١٧٢]نَحْوُ(عَلِمْتُ هَلْ زَيْدٌ قَائِمٌ أَمْ عَمْرٌو)، وإِمَّا اسْمٌ، نَحْوُ(عَلِمْتُ أَيْنَ جَلَسْتَ)، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى(وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابَاً وأَبْقَى)[طه/٧١]و(لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوْا أَمَدَاً)[الكهف/١٢]، ومِثْلُهُ الْمُضَافُ إِلَى اسْمِ الاسْتِفْهَامِ، نَحْوُ (عَلِمْتُ غُلامُ أَيِّهِمْ عِنْدَكَ)، والْجُمَلُ الَّتِي بَعْدَ الْمُعَلِّقِ فِي كُلِّ مَا ذُكِرَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ سَادَّةٌ مَسَدَّ الْمَفْعُوْلَيْنِ، لِكَوْنِ الْفِعْلِ عَامِلاً فِي الْمَعْنَى.

اعْلَمْ أَنَّ الاسْتِفْهَامَ هَهُنَا حَرْفَاً كَانَ أَوِ اسْمَاً لا يُفِيْدُ اسْتِفْهَامَ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ، وإِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ اسْتِفْهَامٍ، لأَنَّ قَوْلَكَ:(عَلِمْتُ أَيُّهُمْ قَامَ) يُفِيْدُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِنِسْبَةِ الْقِيَامِ إِلَى قَائِمٍ مُعَيَّنٍ، وكَذَا قَوْلُكَ:(عَلِمْتُ أ زَيْدٌ فِي الدَّارِ أَمْ عَمْرٌو) يُفِيْدُ أَنَّكَ عَارِفٌ بِوُجُوْدِ أَحَدِهِمَا فِي الدَّارِ، لأَنَّ أَفْعَالَ هَذَا الْبَابِ وَاقِعٌ عَلَى مَضْمُوْنِ الْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهَا، كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ، فَلَوْ كَانَ الاسْتِفْهَامُ يُرَادُ بِهِ اسْتِفْهَامُ الْمُتَكَلِّمِ لَكَانَ دَالاًّ عَلَى أَنَّهُ لا يَعْرِفُ مَنْ أُنْتُسِبَ الْقِيَامُ إِلَيْهِ، ولا الْمَوْجُوْدَ فِي الدَّارِ، وهَذَا تَنَاقُضٌ، إِذْ كَيْفَ يَعْلَمُهُ ثُمَّ يَسْتَفْهِمُ عَمَّا يَعْلَمُهُ، فَالْمَعْنَى إِذَنْ هُوَ: عَلِمْتُ الَّذِي قَامَ، وعَلِمْتُ الَّذِي هُوَ فِي الدَّارِ مِنْ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ، قَالَ سِيْبَوَيْهِ:(كَمَا أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: قَدْ عَلِمْتُ أ زَيْدٌ فِي الدَّارِ أَمْ عَمْرٌو، وأَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَ أَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهُمَا ثَمَّ)،[١٧٣] وإِنَّمَا لَمْ تُصَرِّحْ باسْمِ الْقَائِمِ ولا باسْمِ الَّذِي هُوَ فِي الدَّارِ، ولَمْ تَقُلْ:(عَلِمْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً) أَوْ:(عَلِمْتُ قِيَامَ زَيْدٍ)و:(عَلِمْتُ زَيْدَاً فِي الدَّارِ) أو:(عَلِمْتُ وُجُوْدَ زَيْدٍ فِي الدَّارِ)، لأَنَّ(الْمُتَكَلِّمَ لَهُ دَاعٍ إِلَى إِبْهَامِ الشَّيْءِ عَلَى الْمُخَاطَبِ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِذَلِكَ الْمُبْهَمِ، كَمَا يَكُوْنُ لَهُ دَاعٍ إِلَى التَّصْرِيْحِ بِهِ،كَقَوْلِهِ تَعَالَى" وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِيْنٍ "[سبأ/٢٤])[١٧٤]وَقِيْلَ: هُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، والتَّقْدِيْرُ: عَلِمْتُ جَوَابَ هَذَا الْكَلامِ[١٧٥]، وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ عِنْدَ الْمُبَرِّدِ، فَالْمُتَكَلِّمُ، عِنْدَهُ، عَالِمٌ بِوُجُوْدِ أَحَدِهِمَا فِي الدَّارِ، وبِقِيَامِ أَحَدِهِمَا، ولَكِنْ لا يَدْرِي أَيُّهُمَا هُوَ، قَالَ: (تَقُوْلُ: لَيْتَ شِعْرِي أ زَيْدٌ فِي الدَّارِ أَمْ عَمْرٌو...لأَنَّ هَذَا لَيْسَ باسْتِفْهَامٍ، ولا قَوْلُكَ: قَدْ عَلِمْتُ أ زَيْدٌ فِي الدَّارِ أَمْ عَمْرٌو، إِنَّمَا هُوَ أَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدَهُمَا فِي الدَّارِ، لا تَدْرِي أَيُّهُمَا هُوَ، فَقَدِ اسْتَوَيَا عِنْدَكَ، فَهَذِهِ الأَشْيَاءُ الَّتِي وَصَفْنَا مُسْتَوِيَةٌ وإِنْ لَمْ تَكُنِ اسْتِفْهَامَاً).[١٧٦]

عَدَّ أبُوْ عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ (لَعَلَّ) مِنَ الْمُعَلِّقَاتِ، ووَافَقَهُ أَبُوْ حَيَّانَ، لِكَوْنِ مَا بَعْدَهَا مُنْقَطِعاً عَمَّا قَبْلَهَا ولا يَعْمَلُ فِيْهِ، ولأَنَّهَا كَالاسْتِفْهَامِ فِي كَوْنِهَا غَيْرَ خَبَرٍ، أَيْ مُجَرَّدَ اسْتِفْهَامٍ،[177] ويَخْتَصُّ تَعْلِيْقُهَا بِـ (دَرَى) فَلا تُعَلِّقُ غَيْرَهُ،[178] كَقَوْلِهِ تَعَالَى(وَمَا يُدْرِيْكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى)[عبس/٣]و (وَمَا يُدْرِيْكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيْبٌ)[الشورى/١٧]و(إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ)[الأنبياء/١١١]و(لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرَاً)[الطلاق/١].

وعَدَّ الزَّمَخْشَرِيُّ مِنْهَا(كَمْ) الْخَبَرِيَّةَ، ووَافَقَهُ ابْنُ هِشَامٍ، لِكَوْنِهَا تَتَصَدَّرُ الْكَلامَ، وسَكَتَ عَنْهَا النَّحْوِيُّوْنَ اسْتِغْنَاءً بِتَصْرِيْحِهِمْ بأَنَّ لَهَا الصَّدْرَ كالاسْتِفْهَامِيَّةِ، إِذْ كُلُّ مَا لَهُ صَدْرٌ يُعَلِّقُ.[179]

وعَدَّ مِنْهَا ابْنُ يَعِيْشَ، وتَابَعَهُ الشَّلَوْبِيْنُ وابْنُ عُصْفُوْرٍ والرَّضِي وأَبُو حَيَّانَ(إِنَّ) الْمَكْسُوْرَةَ الْمُقْتَرِنَ خَبَرُهَا بِلامِ الابْتِدَاءِ،[180] نَحْوُ(عَلِمْتُ إِنَّ زَيْدَاً لَقَائِمٌ) وكَقَوْلِهِ تَعَالَى(واللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُوْلُهُ)[المنافقون/١]، فَإِنْ تَجَرَّدَتْ عَنِ اللامِ لَمْ تُعَلِّقْ لإِمْكَانِ فَتْحِهَا وجَعْلِهَا مَعَ مُتَعَلِّقِهَا مَعْمُوْلَةً لِفِعْلِ الْقَلْبِ، (وَذَلِكَ لأَنَّ الْمَنْصُوْبَيْنِ بَعْدَ فِعْلِ الْقَلْبِ فِي تَأْوِيْلِ الْمَصْدَرِ، فَإِذَا أَمْكَنَكَ جَعْلُ (أَنَّ) حَرْفَاً مَصْدَرِيَّاً مَعْمُوْلاً لِفِعْلِ الْقَلْبِ بأَنْ تَفْتَحَ هَمْزَتَهَا، فَهُوَ أَوْلَى مِنْ عَزْلِ الْعَامِلِ بِكَسْرِ(إِنَّ) عَنْ عَمَلِهِ)[181] ، وقِيْلَ: إِنَّ الْمُعَلِّقَ هُوَ اللاَّمُ لا (إِنَّ)[182] ،لأَنَّهُ لا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُوْنَ الْمُعَلِّقُ فِي صَدْرِ الْجُمْلَةِ الْمُعَلَّقِ عَنْهَا، وإِنْ كَانَ حَقُّ اللاَّمِ فِي الأَصْلِ صَدْرَ الْجُمْلَةِ لَكِنْ زُحْلِقَتْ عَنْهُ كَرَاهَةَ تَوَالِي حَرْفَيْ تَوْكِيْدٍ.[183]

وأَمَّا لامُ الْقَسَمِ فَقَدْ عَدَّهَا مِنْهَا الأَعْلَمُ الشَّنْتَمَرِيُّ، وتَبِعَهُ ابْنُ مَالِكٍ وابْنُهُ بَدْرُ الدِّيْنِ وابْنُ هِشَامٍ وخَالِدٌ الأَزْهَرِيُّ وآخَرُوْنَ[184] ، كَقَوْلِ لَبِيْدِ بْنِ رَبِيْعَةَ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِي   إِنَّ الْمَنَايَا لا تَطِيْشُ سِهَامُهَا

فَاللامُ فِي(لَتَأْتِيَنَّ) لامُ الْقَسَمِ، وتُسَمَّى لامَ جَوَابِ الْقَسَمِ، والْقَسَمُ الْمُقَدَّرُ وجَوَابُهُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مُعَلَّقٌ عَنْهَا الْعَامِلُ بِلامِ الْقَسَمِ، لا جُمْلَةُ الْجَوَابِ فَقَطْ، لأَنَّ جُمْلَةَ جَوَابِ الْقَسَمِ لا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ.

وعِنْدَ جُمْهُوْرِ النُّحَاةِ أَنَّ(عَلِمَ) فِي مِثْلِ ذَا الْمَوْضِعِ قَدْ خَرَجَ عَنْ مَعْنَاهُ الأَصْلِيِّ ونَزَلَ مَنْزِلَةَ الْقَسَمِ، ومَا بَعْدَهُ جُمْلَةُ جَوَابِ الْقَسَمِ لا مَحَلَّ لَهَا، وَهُوَ حِيْنَئِذٍ لا يَقْتَضِي مَعْمُوْلاً، قَالَ سِيْبَوَيْهِ:(هَذَا بَابُ الأَفْعَالِ فِي الْقَسَمِ ... وَقَالَ لَبِيْدٌ: * وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ * كَأَنَّهُ قَالَ: واللهِ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِي، كَمَا قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُ لَعَبْدُ اللهِ خَيْرٌ مِنْكَ)[185] ، وَقَالَ الرَّضِي:(وَأَمَّا قَوْلُهُ:* وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِي *، فَإِنَّمَا أَجْرَى: لَقَدْ عَلِمْتُ، مُجْرَى الْقَسَمِ لِتَأْكِيْدِهِ لِلْكَلامِ، لأَنَّ فِيْهِ اللامَ الْمُفِيْدَةَ لِلتَّأْكِيْدِ مَعَ: قَدِ الْمُؤَكِّدَةِ، وَفِي: عَلِمْتُ، مَعْنَى التَّحْقِيْقِ فَصَارَ كَقَوْلِهِ:

إِنِّي أَمْنَحُكَ الصُّدُوْدَ وَإِنَّنِي   قَسَماً إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُوْدِ لأَمْيَلُ)[186]

وبِمِثْلِهِ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي الْمُغْنِي:(إِنَّ أَفْعَالَ الْقُلُوْبِ لأَفَادَتِهَا التَّحْقِيْقَ يُجَابُ بِمَا يُجَابُ بِهِ الْقَسَمُ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتِي)[187] ، وَقَالَ أَبُوْ حَيَّانَ:(لَمْ يَذْكُرْ أَصْحَابُنَا لا ولا لامَ الْقَسَمِ... وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا إِنَّ هَذِهِ الأَفْعَالَ تُضَمَّنُ مَعْنَى الْقَسَمِ، فَتُتَلَقَّى بِمَا يُتَلَقَّى بِهِ الْقَسَمُ، وتُعَلَّقُ إِذْ ذَاكَ عَنِ الْعَمَلِ)[188] ، وصَرَّحَ ابْنُ الدَّهَّانِ فِي الْغُرَّةِ بأَنَّهَا لا تُعَلِّقُ مُسْتَدِلاًّ بِقَوْلِهِ:

لَقَدْ عَلِمَتْ أَسَدٌ أَنَّنَا   لَهُمْ يَوْمَ نَصْرٍ لَنِعْمَ النَّصِيْرُ

بِفَتْحِ(أَنَّ) فَلَوْ كَانَتْ تُعَلِّقُ لَوَجَبَ كَسْرُهَا.[189]

وعَدَّ ابْنُ مَالِكٍ مِنْهَا (لَوْ) مُسْتَدِلاًّ بِقَوْلِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ:

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمَاً   أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ[190]

والتَّعْلِيْقُ عِنْدَ جُمْهُوْرِهِمْ يَكُوْنُ فِي أَفْعَالِ الْقُلُوْبِ مِنْ هَذَا الْبَابِ مُطْلَقَاً سَوَاءٌ كَانَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ أَوْ بِمَعْنَى الظَّنِّ، وعِنْدَ الْمُبَرِّدِ وثَعْلَبٍ وابْنِ كَيْسَانَ لا يَكُوْنُ إِلاَّ فِيْمَا كَانَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ، وزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذَا رَأْيُ سِيْبَوَيْهِ، وعِنْدَ بَعْضِهِمْ التَّعْلِيْقُ فِيْمَا كَانَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ حَسَنٌ وفِي غَيْرِهِ قَبِيْحٌ[191] ، وعِنْدَ ابْنِ عُصْفُوْرٍ يَكُوْنُ فِي كُلِّ فِعْلٍ قَلْبِيٍّ سَوَاءٌ أ كَانَ مِنْ أَخَوَاتِ ظَنَّ وعَلِمَ أَمْ لَمْ يَكُنْ[192] ، واخْتَارَهُ ابْنُ هِشَامٍ.[193]

رَأَى بَعْضُ النُّحَاةِ أَنَّ التَّعْلِيْقَ أَمْرٌ لا يَخْتَصُّ بأَفْعَالِ الْقُلُوْبِ حَسْبُ، بَلْ تُشَارِكُهَا فِيْهِ أَفْعَالٌ أُخْرَى هِيَ:[194] (أَبْصَرَ)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى(فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُوْنَ، بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُوْنُ)[القلم/٥و٦]،

و(نَظَرَ) الْبَصَرِيَّةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى(أ فَلا يَنْظُرُوْنَ إِلَي الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)[الغاشية/١٧]و(فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامَاً)[الكهف/١٩]و (فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِيْنَ)[النمل/٣٢]، و(تُرَى)، نَحْوُ(أَمَا تُرَى أَيُّ بَرْقٍ هُنَا)، و(تَفَكَّرَ)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى(أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوْا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ)[الأعراف/١٨٤]، وكَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَخِرْقٍ إِذَا مَا الْقَوْمُ أَبْدَوْا فَكَاهَةً   تَفَكَّرَ أ إِيَّاهُ يَعْنُوْنَ أَمْ قِرْدَا

و(سَأَلَ)، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى(يَسْأَلُوْنَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّيْنِ)[الذاريات/١٢]، و(نَسِيَ)، كَقَوْلِ زِيَادِ الأَعْجَمِ:

وَمَنْ أَنْتُمْ إِنَّا نَسِيْنَا مَنْ أَنْتُمْ   وَرِيْحُكُمْ مِنْ أيِّ رِيْحِ الأَعَاصِرِ

و(اسْتَنْبَأَ)، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى(وَيَسْتَنْبِؤُنَكَ أ حَقٌّ هُوَ)[يونس/٥٣]، و(بَلا)، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى(لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)[الملك/٢]،و(تَبَصَّرَ) كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ   سَوَالِكَ نَقْبَاً بَيْنَ حَزْمَيْ شَعَبْعَبِ

وَجَوَّزَ الرَّضِي التَّعْلِيْقَ فِي كُلِّ فِعْلٍ دَالٍّ عَلَى الشَّكِّ، نَحْوُ(تَرَدَّدَ، وشَكَّ) وكُلِّ فِعْلٍ يُفِيْدُ مَعْنَى الْعِلْمِ، نَحْوُ(تَبَيَّنَ)، ومَا يُطْلَبُ بِهِ الْعِلْمُ، نَحْوُ(فَكَّرَ، وامْتَحَنَ، وبَلا، وسَأَلَ، واسْتَفْهَمَ، واسْتَخْبَرَ،واسْتَنْبَأَ)، وأَفْعَالِ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، نَحْوُ(لَمَسَ، وأَبْصَرَ، ونَظَرَ، وسَمِعَ، وشَمَّ، وذَاقَ)[١٩٥].

وأَمَّا يُوْنُسُ فَقَدْ جَوَّزَ تَعْلِيْقَ جَمِيْعِ الأَفْعَالِ، فَأَجَازَ نَحْوَ(ضَرَبْتُ أَيُّهُمْ فِي الدَّارِ)، وخَرَّجَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيَّاً)[مريم/٦٩]مُشَبِّهَاً إِيَّاهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُوْلُ اللهِ)[١٩٦].

والْجُمْهُوْرُ عَلَى أَنَّهُ لا يَجُوْزُ التَّعْلِيْقُ فِي غَيْرِ أَفْعَالِ الْقُلُوْبِ الَّتِي جَازَ فِيْهَا الإِلْغَاءُ، لِكَوْنِ التَّعْلِيْقِ ضَرْبَاً مِنَ الإِلْغَاءِ،(إِذْ إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ الإِلْغَاءَ إِبْطَالُ عَمَلِ الْعَامِلِ لَفْظَاً ومَعْنًى، والتَّعْلِيْقُ إِبْطَالُ عَمَلِهِ لَفْظَاً لا مَعْنًى، فَكُلُّ تَعْلِيْقٍ إِلْغَاءٌ ولَيْسَ كُلُّ إِلْغَاءٍ تَعْلِيْقَاً)[١٩٧] ، وحَمَلَ الْخَلِيْلُ قَوْلَهُ تَعَالَى(ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيَّاً) عَلَى الْحِكَايَةِ وإِضْمَارِ قَوْلٍ، والتَّقْدِيْرُ: لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ الَّذِيْنَ يُقَالُ فِيْهِمْ أَيُّهُمْ أَشَدُّ، فَـ (أَيُّهُمْ) اسْتِفْهَامٌ مَرْفُوْعٌ بالابْتِدَاءِ و(أَشَدُّ) خَبَرُهُ، والْجُمْلَةُ مَقُوْلُ الْقَوْلِ، و(أيُّ) عِنْدَ سِيْبَوَيْهِ اسْمٌ مَوْصُوْلٌ بِمَعْنَى(الَّذِي) مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ، لِسُقُوْطِ صَدْرِ صِلَتِهِ، فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْمَفْعُوْلِيَّةِ بِـ (نَنْزِعَنَّ)، وعِنْدَ الْفَرَّاءِ والْكِسَائِيِّ أَنَّ أيَّ الْمَوْصُوْلَةَ لا تُبْنَى، ويَقْرَآنِ الآيَةَ بالنَّصْبِ(أَيَّهُمْ أَشَدُّ)، وخَرَّجَا الرَّفْعَ عَلَى أَنَّ النَّزْعَ قَدْ وَقَعَ عَلَى(مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ)، فَالْفِعْلُ اكْتَفَى بالْجَارِّ والْمَجْرُوْرِ عَنْ صَرِيْحِ الْمَفْعُوْلِ، كَمَا اكْتَفَى بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى(وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا)[مريم/٥٠]وَفِي قَوْلِنَا: أَكَلْتُ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ، أيْ لَنَنْزِعَنَّ بَعْضَ كُلِّ شِيْعَةٍ، وكَأَنَّ سَائِلاً سَأَلَ: مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ مُبْتَدِئَاً: أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيَّاً[١٩٨].

قَالُوْا: إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الإِلْغَاءِ والتَّعْلِيْقِ مِنْ وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْعَامِلَ الْمُلْغَى لا عَمَلَ لَهُ الْبَتَّةَ لا فِي اللَّفْظِ ولا فِي الْمَحَلِّ، وأَنَّ لِلْعَامِلِ الْمُعَلَّقِ عَمَلاً فِي الْمَحَلِّ لا فِي اللَّفْظِ، فَجُمْلَةُ(زَيْدٌ قَائِمٌ) مِنْ قَوْلِكَ:(عَلِمْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ) قَبْلَ التَّعْلِيْقِ لا مَحَلَّ لَهَا، بَلِ الإِعْرَابُ لِجُزْأَيْهَا، إِذْ إِنَّ(زَيْدَاً) مَفْعُوْلُ(عَلِمْتُ) الأَوَّلُ، و(قَائِمَاً) مَفْعُوْلُهُ الثَّانِي، أَمَّا بَعْدَ التَّعْلِيْقِ فَلا مَحَلَّ لِجُزْأَيْهَا بَلْ لِلْجُمْلَةِ نَفْسِهَا، إِذْ إِنَّهَا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِـ (عَلِمْتُ)[١٩٩] ولِذَلِكَ جَازَ الْعَطْفُ عَلَى مَحَلِّهَا بالنَّصْبِ، نَحْوُ(عَلِمْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ وغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أُمُوْرِهِ)، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ كُثَيِّرِ عَزَّةَ:

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ مَا الْبُكَا   ولا مُوْجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ

ولا يَجُوْزُ هَهُنَا التَّمْثِيْلُ بِـ (عَلِمْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ وعَمْرَاً مُنْطَلِقَاً) كَمَا صَنَعَ بَعْضُهُمْ[٢٠٠]،لأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُوْنَ (عَمْرَاً) مَعْطُوْفَاً عَلَى مَحَلِّ(زَيْدٌ) و(مُنْطَلِقَاً) مَعْطُوْفَاً عَلَى مَحَلِّ(قَائِمٌ)، وَهَذَا بَاطِلٌ، لأَنَّ مَحَلَّ النَّصْبِ لِلْجُمْلَةِ بِمَجْمُوْعِهَا وَلَيْسَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ زَيْدٍ وقَائِمٍ، وأَيْضَاً لأَنَّ هَذِهِ الأَفْعَالَ تَقَعُ عَلَى مَضْمُوْنِ الْجُمْلَةِ، لِذَلِكَ لَمْ يَجُزْ أَيْضَاً عَطْفُ الْمُفْرَدِ عَلَى مَحَلِّ الْمُعَلَّقِ، فَلا يُقَالُ:(عَلِمْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ وعَمْرَاً) إلاَّ إِذَا كَانَ فِي الْمُفْرَدِ مَعْنَى الْجُمْلَةِ، كَمَا فِي تَمْثِيْلِنَا، وكَمَا فِي قَوْلِ كُثَيِّرِ عَزَّةَ.

والثَّانِي مِنْ وَجْهَي الْفَرْقِ: أنَّ سَبَبَ التَّعْلِيْقِ مُوْجِبٌ لِلإِهْمَالِ، فَلا يَجُوْزُ الإِعْمَالُ مَعَ وُجُوْدِ الْمَانِعِ، فَلا يُقَالُ(ظَنَنْتُ مَا زَيْدَاً قَائِمَاً)، وسَبَبَ الإِلْغَاءِ مُجَوِّزٌ لِلإِهْمَالِ، فَيَجُوْزُ(زَيْداً ظَنَنْتُ قَائِمَاً)و(زَيْدٌ ظَنَنْتُ قَائِمٌ).[٢٠١]

نَفْهَمُ مِنْ كَلامِ النُّحَاةِ أنَّ الْعَامِلَ هُوَ السَّبَبُ فِي التَّعْلِيْقِ كَمَا كَانَ سَبَاً فِي الإِلْغَاءِ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ، إِذْ إِنَّ ضَعْفَ الْعَامِلِ وعَدَمَ قُدْرَتِهِ عَلَى تَخَطِّي مَا حَالَ بَيْنَهُ وبَيْنَ مَعْمُوْلَيْهِ مِنْ لامِ الابْتِدَاءِ وحُرُوْفِ النَّفْيِ وأَدَوَاتِ الاسْتِفْهَامِ سَبَبٌ فِي تَعْلِيْقِهِ عَنِ الْعَمَلِ، وأَمَّا الْمَعْنَى فَلا حَظَّ لَهُ فِي ذَلِكَ كَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ، عِنْدَهُمْ، فِي الإِلْغَاءِ.

عِنْدِي أنَّ الْعَرَبِيَّ حِيْنَ كَانَ يُعْمِلُ أَوْ يُلْغِي أَوْ يُعَلِّقُ لَمْ يَكُنْ مُتَأَثِّرَاً فِي ذَلِكَ بالْعَامِلِ، ولا وَاضِعَاً إِيَّاهُ فِي حِسْبَانِهِ، ولا مُلْتَفِتَاً إِلَيْهِ، وإِنَّمَا كَانَ مَسُوْقَاً بالْمَعْنَى الَّذِي يُرِيْدُهُ، ومَأْخُوْذَاً بِهِ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ هَذَا الْعَامِلَ الَّذِي أَوْجَدَهُ النُّحَاةُ بَعْدُ، فَلِمَاذَا إِذَنْ أَعْمَلَ فَقَالَ(ظَنَنْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً) ثُمَّ أَلْغَى بَعْدُ فَقَالَ(ظَنَنْتُ زَيْدٌ قَائِمٌ) ثُمَّ عَلَّقَ فَقَالَ(ظَنَنْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ) مَا دَامَ يَجْهَلُ الْعَامِلَ وَقُوَّةَ هَذَا الْعَامِلِ أَوْ ضَعْفَهُ، إِذَنْ فَهُوَ يُعْمِلُ ويُلْغِي ويُعَلِّقُ مِنْ أَجْلِ الْمَعْنَى الَّذِي لَهُ، دُوْنَ غَيْرِهِ، وُجُوْدٌ فِي ذِهْنِهِ واعْتِبَارٌ، لا مِنْ أَجْلِ الْعَامِلِ الَّذِي لا وُجُوْدَ لَهُ ولا اعْتِبَارَ إلاَّ فِي ذِهْنِ النَّحْوِيِّ.

قَدْ ذَكَرْنَا أنَّ(ظَنَنْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً) جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ مُبْنِيَّةٌ عَلَى الشَّكِّ ومَعْنَاهَا: ظَنَنْتُ قِيَامَ زَيْدٍ، فَقَدْ بَدَأَ الْمُتَكَلِّمُ بالشَّكِّ، وبَنَى عَلَيْهِ، وانْتَهَى بِهِ ولَمْ يَعْتَرِضْهُ خِلافُهُ، وأَمَّا(ظَنَنْتُ زَيْدٌ قَائِمٌ) فَجُمْلَتَانِ مُتَنَاقِضَتَانِ فِي الْمَعْنَى، الأُوْلَى شَكٌّ مُلْغَاةٌ لَفْظَاً وَمَعْنًى، هِيَ جُمْلَةُ(ظَنَنْتُ)، والثَّانِيَةُ ضِدُّهَا إِثْبَاتٌ ويَقِيْنٌ هِيَ الْمُرَادَةُ وعَلَيْهَا بِنَاءُ الْكَلامِ، هِيَ جُمْلَةُ(زَيْدٌ قَائِمٌ)، إِذْ بَدَأَ الْمُتَكَلِّمُ بالشَّكِّ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْيَقِيْنُ فَأَلْغَى شَكَّهُ وبَنَى كَلامَهُ عَلَى نَقِيْضِهِ، وكَذَلِكَ هَهُنَا، أَعْنِي فِي التَّعْلِيْقِ، فَقَوْلُنَا(ظَنَنْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ) أَيْضَاً جُمْلَتَانِ، الأُوْلَى شَكٌّ مُلْغَاةٌ لَفْظَاً ومَعْنًى، هِيَ(ظَنَنْتُ)، والثَّانِيَةُ نَقِيْضُهَا إِثْبَاتٌ ويَقِيْنٌ مُؤَكَّدٌ، هِيَ(لَزَيْدٌ قَائِمٌ)، فَالْفَرْقُ إِذَنْ بَيْنَ(ظَنَنْتُ زَيْدٌ قَائِمٌ) و(ظَنَنْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ) مِنْ وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّ جُمْلَةَ(زَيْدٌ قَائِمٌ) يَقِيْنٌ فَقَطْ، وجُمْلَةَ(لَزَيْدٌ قَائِمٌ) يَقِيْنٌ مُؤَكَّدٌ، كَالْفَرْقِ بَيْنَ(زَيْدٌ مُسَافِرٌ)و(لَزَيْدٌ مُسَافِرٌ)، وثَانِيْهُمَا: أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ فِي الأَوَّلِ يَجُوْزُ لَهُ الإِعْمَالُ، فَإِنْ أَرَادَ الشَّكَّ أَعْمَلَ، وإِنْ أَرَادَ الْيَقِيْنَ أَلْغَى، بِحَسَبِ الْمَعْنَى، ولا يَجُوْزُ لَهُ ذَلِكَ فِي الثَّانِي لِوُجُوْدِ لامِ الابْتِدَاءِ. كَمَا تَرَى أَنَّ مَعْنَى(ظَنَنْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ) لَيْسَ كَمَعْنَى(ظَنَنْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً) كَمَا قَالُوْا.[٢٠٢]

وقَدْ تَقَدَّمَ أَيْضَاً أَنَّ الإِلْغَاءَ مُمْتَنِعٌ مَعَ أَفْعَالِ الْيَقِيْنِ لانْتِفَاءِ الْغَرَضِ مِنْهُ، وأَمَّا هَهُنَا فَيَجُوْزُ لِحُصُوْلِ ذَلِكَ الْغَرَضِ، فَقَوْلُكَ(عَلِمْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ) أَيْضَاً جُمْلَتَانِ، الأُوْلَى يَقِيْنٌ مُلْغَاةٌ، هِيَ(عَلِمْتُ)، والثَّانِيَةُ يَقِيْنٌ مُؤَكَّدٌ هِيَ الْمُرَادَةُ، وَهِيَ(لَزَيْدٌ قَائِمٌ)، فَقَدْ بَدَأْتَ بالْيَقِيْنِ، ثُمَّ بَدَا لَكَ أَنَّ الْمُخَاطَبَ قَدْ يَشُكُّ فِي يَقِيْنِكَ، وأَرَدْتَ أَنْ تَدْفَعَ شَكَّهُ وتُزِيْلَهُ فَأَلْغَيْتَ الْعِلْمَ فَبَدَأْتَ بالتَّأْكِيْدِ فَقُلْتَ:(لَزَيْدٌ قَائِمٌ)، والْجُمْلَتَانِ هُنَا لَيْسَتَا مُتَنَاقِضَتَيْنِ تَنَاقُضَهُمَا فِي أَفْعَالِ الشَّكِّ، بَلْ هُمَا يَقِيْنٌ ويَقِيْنٌ مُؤَكَّدٌ، قَالَ سِيْبَوَيْهِ:(قَدْ عَلِمْتُ لَعَبْدُ اللهِ خَيْرٌ مِنْكَ، فَهَذِهِ اللاَّمُ تَمْنَعُ الْعَمَلَ، كَمَا تَمْنَعُ أَلِفُ الاسْتِفْهَامِ، لأَنَّهَا إِنَّمَا هِيَ لامُ الابْتِدَاءِ، وإِنَّمَا أَدْخَلْتَ عَلَيْهِ عَلِمْتُ لِتُؤَكِّدَ وتَجْعَلَهُ يَقِيْنَاً قَدْ عَلِمْتَهُ ولا تُحِيْلَ عَلَى عِلْمِ غَيْرِكَ).[٢٠٣]

وأَمَّا مَعَ حُرُوْفِ النَّفْيِ فِي نَحْوِ(ظَنَنْتُ مَا زَيْدٌ قَائِمٌ) فَهُوَ ايْضَاً جُمْلَتَانِ كَقَوْلِنَا(ظَنَنْتُ لَزَيْدٌ قَائِمٌ)، أُوْلاهُمَا شَكٌّ مُلْغَاةٌ، هِيَ(ظَنَنْتُ) وثَانِيَتُهُمَا يَقِيْنٌ، هِيَ(مَا زَيْدٌ قَائِمٌ)، فَقَدْ بَدَأَ الْمُتَكَلِّمُ بالشَّكِّ فِي قِيَامِ زَيْدٍ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ أَنَّ عَدَمَ قِيَامِهِ يَقِيْنٌ فَبَنَى عَلَيْهِ كَلامَهُ فَقَالَ(مَا زَيْدٌ قَائِمٌ)، لأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ الشَّكَّ لَقَالَ(مَا ظَنَنْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً)، فَلَمَّا لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ دَلَّ أَنَّهُ كَانَ مُتَرَدِّدَاً بَيْنَ الشَّكِّ والْيَقِيْنِ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْيَقِيْنُ، وَهُوَ عَدَمُ الْقِيَامِ، وكَذَلِكَ(عَلِمْتُ مَا زَيْدٌ قَائِمٌ)، فَقَدْ أَلْغَى عِلْمَهُ، ثُمَّ بَنَى كَلامَهُ عَلَى يَقِيْنٍ مَنْفِيٍّ، فَلَوْ لَمْ يُرِدْ إِلْغَاءَ عِلْمِهِ وجَعْلَهُ لَغْوَاً لَقَالَ(مَا عَلِمْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً).

وأَمَّا الاسْتِفْهَامُ فِي نَحْوِ(عَلِمْتُ أ زَيْدٌ فِي الدَّارِ أَمْ عَمْرٌو)و(عَلِمْتُ أَيُّهُمْ قَامَ) فَلَيْسَ مِنْ ذَا الْبَابِ، لانْتِفَاءِ الْغَرَضِ مِنَ التَّعْلِيْقِ أَوِ الإِلْغَاءِ، إِذْ إِنَّ الْمَعْنَى، كَمَا قَالُوْا، هُوَ: عَلِمْتُ الَّذِي فِي الدَّارِ مِنَ الشَّخْصَيْنِ الْمَذْكُوْرَيْنِ، وعَلِمْتُ الَّذِي قَامَ، وإِنَّمَا لَمْ يُصَرِّحِ الْمُتَكَلِّمُ باسْمِ الْمَوْجُوْدِ فِي الدَّارِ، ولا باسْمِ الْقَائِمِ (لأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ لَهُ دَاعٍ إِلَى إِبْهَامِ الشَّيْءِ عَلَى الْمُخَاطَبِ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِذَلِكَ الْمُبْهَمِ، كَمَا يَكُوْنُ لَهُ دَاعٍ إِلَى التَّصْرِيْحِ بِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى" وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِيْنٍ " ومِثْلُهُ

كَثِيْرٌ)[٢٠٤] ، فَهُوَ كَقَوْلِنَا(عَلِمْتُ أَنَّ زَيْدَاً قَائِمٌ)، فَكَمَا أَنَّ الْحَرْفَ النَّاسِخَ ومَعْمُوْلَيْهَا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِـ (عَلِمْتُ)، فَكَذَلِكَ الْجُمْلَةُ الْوَاقِعَةُ بَعْدَ حَرْفِ الاسْتِفْهَامِ، وجُمْلَةُ(أَيُّهُمْ قَامَ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِـ (عَلِمْتُ)، وكَذَا مَا أُلْحِقَ بِذَا الْبَابِ، أَعْنِي بِبَابِ التَّعْلِيْقِ، مِنَ الأَفْعَالِ غَيْرِ الْقَلْبِيَّةِ، لأَنَّهُمْ لا يُلْحِقُوْنَهَا بِهِ إلاَّ مَعَ الاسْتِفْهَام.

فَالتَّعْلِيْقُ إِذَنْ هُوَ إِلْغَاءٌ، ولَيْسَ ضَرْبَاً مِنْهُ، كَمَا قَالُوْا، وَهُوَ إِبْطَالُ عَمَلِ الْفِعْلِ لَفْظَاً ومَعْنًى، كَمَا أَنَّ الإِلْغَاءَ كَذَلِكَ، ولَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ الإِلْغَاءَ يَجُوْزُ مَعَهُ الإِعْمَالُ، فَيُقَالُ(ظَنَنْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً)و(ظَنَنْتُ زَيْدٌ قَائِمٌ) بِحَسَبِ الْمَعْنَى، وأَمَّا التَّعْلِيْقُ فَلا يَجُوْزُ فِيْهِ إِلاَّ الإِهْمَالُ لِوُجُوْدِ مَانِعِ الإِعْمَالِ، والْجُمْلَةُ بَعْدَ الْفِعْلِ الْمُعَلَّقِ لَيْسَ لَهَا مَحَلٌّ كَمَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مَحَلٌّ بَعْدَ الْمُلْغَى، وأَمَّا اسْتِشْهَادُ الْبَصْرِيِّيْنَ بِقَوْلِ كُثَيِّرِ عَزَّةَ:

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ مَا الْبُكَا   وَلا مُوْجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ

بِنَصْبِ(مُوْجِعَاتِ) عَطْفَاً عَلَى مَحَلِّ(مَا الْبُكَا) فَلا يَنْهَضُ دَلِيْلاً عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِهِمْ، لِجَوَازِ أَنْ تَكُوْنَ(مَا) زَائِدَةً، ويَكُوْنَ (الْبُكَا) مَفْعُوْلاً، والأَصْلُ: وَلا أَدْرِي مُوْجِعَاتِ الْقَلْبِ، فَيَكُوْنَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْجُمَلِ، أَوْ أَنْ تَكُوْنَ الْوَاوُ لِلْحَالِ، و(مُوْجِعَاتِ) اسْمَ(لا)، أَيْ: ومَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ والْحَالَ أَنَّهُ لا مُوْجِعَاتِ لِلْقَلْبِ مُوْجُوْدَةٌ مَا الْبُكَا،[٢٠٥]وَقَدْ قَالُوْا: إِذَا احْتَمَلَ الشَّاهِدُ أَكْثَرَ مِنْ وَجْهٍ ضَعُفَ الاسْتِدْلالُ بِهِ،[٢٠٦] وأَيْضَاً أَنَّ كَوْنَ مَا بَعْدَ الْعَامِلِ الْمُعُلَّقِ بِلامِ الابْتِدَاءِ أَوْ بِلامِ الْقَسَمِ أَوْ بِمَا النَّافِيَةِ أَوْ بِلا أَوْ بِـ (إِنَّ) الْمَكْسُوْرَةِ الْمُقْتَرِنِ خَبَرُهَا بِاللاَّمِ، لَهُ مَحَلٌّ إِنَّمَا هُوَ مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّيْنَ، وأَمَّا الْكُوْفِيُّوْنَ فَلا يَرَوْنَ لَهُ مَحَلاًّ، لأَنَّهُ، عِنْدَهُمْ، جَوَابُ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ، وكَذَا لا مَحَلَّ لَهُ عِنْدَ الْمَغَارِبَةِ، لأَنَّ الْفِعْلَ الْمُعَلَّقَ ضُمِّنَ مَعْنَى الْقَسَمِ فَصَارَ قَاصِرَاً لا يَتَعَدَّى، وصَارَ الْكَلامُ بَعْدَهُ جَوَابَاً لَهُ، وصَحَّحَهُ ابْنُ عُصْفُوْرٍ[٢٠٧]، واللهُ أَعْلَمُ.

الهوامش

١. انظر شرح الكافية: رضي الدين الاسترابادي، ج٤/ ص ١٤٧- ١٤٩.
٢. انظر الأصول في النحو: ابن السراج، ج١/ ص ١٨٠- ١٨١.
٣. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٧٨.
٤. انظر ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيَّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢٠٩٧، وحاشية يس على شرح التصريح: يس بن زين الدين العليمي الحمصي، ج١/ ص ٢٤٦- ٢٤٧.
٥. انظر شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، ج ١/ ص٢٤٧، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، ج٢/ ص ٢٢٢.
٦. انظر بحثنا: قالوا في الحال(دراسة نقدية).
٧. انظر همع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢٢٢.
٨. المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، ج٤/ ص ٤٠٤.
٩. انظر شرح التسهيل: ابن مالك، ج١/ ص ٧٨، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ابن أم قاسم المرادي، ج١/ ص٣٧٤، وشرح التصريح: خالد الأزهري ج١/ ص٢٤٩، والبهجة المرضيَّة: جلال الدين السيوطي، ص١٨٣، والمنقّح على الموشّح: أحمد بن عبد الغفار المالكي، ص٢٣٣.
١٠. شرح الكافية: الرّضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٤٩.
١١. انظر حاشية يس على شرح التصريح، ج١/ ص ٢٤٩.
١٢. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ص ٩٤.
١٣. شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨١.
١٤. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: الأشموني، ج٢/ ص ٣٦- ٣٧.

١٥. الكليّات: أبو البقاء الكفوي، ص ٦١١.

١٦. انظر شرح التسهيل: ابن مالك،ج١/ ص٨٤، وارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ص ٢١٠٥ـ ٢١٠٦، وشفاء العليل في إيضاح التسهيل: السلسيلي، ج١/ ص ٣٩٦، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢ / ص ٢١٩ـ ٢٢٠.

١٧. انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني: الصبان، ج٢/ ص ٢٦ـ ٢٧.

١٨. انظر شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج ٤/ ص ١٥٠، وتوضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص ٣٧٤، والبهجة المرضية: السيوطي، ص ١٨٥.

١٩. انظر تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي الحنفي، مادّة(درى).

٢٠. انظر شرح التسهيل: ابن مالك، ج١/ ص٧٩، وارتشاف: أبو حيّان الأندلسي،ج٤/ ص ٢١٠٠وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، ج١/ ص ٣٨٠.

٢١. همع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢١٤، وانظر أيضاً ارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١٠٠.

٢٢. انظر شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥٠.

٢٣. انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (درى).

٢٤. انظر شرح التسهيل: ابن مالك،ج١/ ص ٨٤، وشرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥٠، وتوضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص ٣٧٨، وشرح ابن عقيل، ج١/ ص ٣٨٣، وشرح التصريح:خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٤٧، والبهجة المرضية:السيوطي، ص١٨٩،وهمع الهوامع:السيوطي، ج٢/ ص٢١٥،والمنقح على الموشح: أحمد بن عبد الغفار المالكي، ص٢٣١.

٢٥. انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (علم).

٢٦. انظر شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥٠.

٢٧. انظر ارتشاف الضرب: أبو حيَّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١٠٠.

٢٨. انظر شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٤٧.

٢٩. انظر لسان العرب: ابن منظور، وتاج العروس: الزبيدي، مادّة (علم).

٣٠. انظر الصحاح: الجوهري، ولسان العرب: ابن منظور، وتاج العروس: الزبيدي، مادَّة (علم).

٣١. انظر أساس البلاغة: الزمخشري، والصحاح: الجوهري، ولسان العرب: ابن منظور، وتاج العروس: الزبيدي، مادّة (وجد).

٣٢. انظر الكتاب:سيبويه، ج ١/ ص ٤٠، والمقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، ج١/ ص ٤٩٤، وشرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨٢، وشرح التسهيل: ابن مالك، ج١/ ص ٧٨، وشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: ابن مالك، ج١/ ص ٢٤٤، وارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢٠٩٩، وتوضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص ٣٧٤، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٧٨، وشرح المقرب: علي محمد فاخر، القسم الثاني من ج٢/ ص ٥٠.

٣٣. انظر مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني، وفيه: ومَا يُنْسَبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الْوُجُوْدِ فَبِمَعْنَى الْعِلْمِ الْمُجَرَّدِ، إِذْ كَانَ اللهُ مُنَزَّهَاً عَنِ الْوَصْفِ بِالْجَوَارِحِ والآلاتِ، وانظر أيْضَاً: تاج العروس: الزبيدي، مادّة (علم).

٣٤. شرح الكافية: الرَّضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥١.

٣٥. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ص ١٠٤ـ ١٠٥.

٣٦. انظر الصحاح: الجوهري، ولسان العرب: ابن منظور، وتاج العروس: الزبيدي، مادّة (لفي).

٣٧. انظر شفاء العليل: السلسيلي، ج١/ ص ٣٩٣، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢ / ص ٢١٤.

٣٨. انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (صدف).
٣٩. انظر بحثنا: قالوا في الحال(دراسة نقدية).
٤٠. انظر المصدر السابق.
٤١. انظر شرح التسهيل: أبن مالك، ج١/ ص ٧٧، وشرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص١٤٩، وارتشاف الضرب :أبوحيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢٠٩٨، وشرح ابن عقيل، ج١/ ص ٣٨٠و ٣٨١، وشفاء العليل: السلسيلي، ج١/ ص٣٩٠، وشرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٤٧.
٤٢. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ص ١١٢.
٤٣. تاج العروس: الزبيدي، مادَّة (ظنّ).
٤٤. انظر المصدر السابق، مادّة (ظنَّ).
٤٥. انظر المصدر السابق، مادّة (حجو).
٤٦. انظر هذه المعاني:الصحاح: الجوهري، ولسان العرب: ابن منظور، وتاج العروس: الزبيدي، مادّة (حجو).
٤٧. الكافُ فِي(إخَالُكَ) مَفْعُوْلُهُ الأوَّلُ، و(ذَا هَوَى) مَفْعُوْلُهُ الثَّانِي، و(إخَالُ) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ هُوَ الأفْصَحُ والأكْثَرُ اسْتِعْمَالاً، وتُفْتَحُ فِي لُغَيَّةٍ، وَهِيَ لُغَيَّةُ بَنِي أسَدٍ، وَهُوَ الْقِيَاسُ. انظر تَاج الْعَرُوْسِ: الزَّبِيْدِي، مَادَّة (خيل).
٤٨. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧ / ص ٧٨، وشرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٤٩ ،وشرح المقرب: علي محمد فاخر، ج٢/ ص ٥٠.
٤٩. انظر توضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص١٧٤، وشرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص٢٤٩، وهمع الهوامع: السيوطي ج٢/ ص ٢١٦.
٥٠. انظر شرح التسهيل: ابن مالك، ج١/ ص ٨٠، والكواكب الدرية على متممة الأجرومية: الشيخ محمد بن محمد الرعيني الشهير بالحطّاب، ج١/ ص ٢٩٤.
٥١. انظر الصحاح: الجوهري، ولسان العرب: ابن منظور، وتاج العروس: الزبيدي، مادَّة (خيل).
٥٢. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٧٨، وشرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٤٩.
٥٣. انظر شرح التسهيل: ابن مالك، ج ١/ ص ٨٠، وشرح ابن عقيل، ج ١/ ص ٣٨٥، وتوضيح المقاصد: المرادي، ج ١/ ص ٣٧٥، وشرح التصريح:خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٤٩، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢١٥ـ ٢١٦، وشرح الأشموني، ج٢/ ص ٢١.
٥٤. انظر الصحاح: الجوهري، ولسان العرب: ابن منظور، وتاج العروس: الزبيدي، مادّة (حسب).
٥٥. انظر حاشية ابن بري على درة الغواص في أوهام الخواص: ابن بري، ص ٧٨٦ـ ٧٨٧.
٥٦. انظر المستدرك على الصحيحين: الْحَاكم النيسابوري، ج ٤/ ص ٣٧٤، وانظر أيضاً مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، ج٢ / ص ٣١٣ـ ٣١٤، وشرح درة الغواص في أوهام الخواص: أحمد بن محمد الخفاجي، ص٤٢١ ـ ٤٢٢.
٥٧. انظر تاج العروس: الزبيدي، مَادّة (هب).
٥٨. درة الغواص في أوهام الخواص: الحريري، ص ٤٢١.
٥٩. انظر مغني اللبيب: ابن هشام، ج٢ / ص ٣١٤، ومنحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١/ص٣٩٠.
٦٠. انظر حاشية يس على شرح التصريح، ج١/ ص ٢٤٨.

٦١. انظر منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١/ ص ٣٩٠.

٦٢. انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (وهب).

٦٣. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٧٩، وشرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٤٩.

٦٤. انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (ظنّ).

٦٥. انظر شرح التسهيل: ابن مالك، ج١/ ص ٨٠.

٦٦. الصحاح: الجوهري، مادّة (ظنّ).

٦٧. انظر شرح الكافية: الرّضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥٠، ومثله في شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨١، وشرح ابن عقيل ج١/ ص ٣٨٥، وشرح الأشموني، ج٢/ ص ٢٩، والكواكب الدرية: الحطاب، ج١/ص ٢٩٣.

٦٨. انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (ظنّ).

٦٩. انظر الصحاح: الجوهري، ولسان العرب: ابن منظور، وتاج العروس: الزبيدي، مادّة (ظنّ).

٧٠. انظر ارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١٠٠، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص٢١٥.

٧١. انظر شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥٠، وتاج العروس: الزبيدي، مادّة (ظنّ، وهم).

٧٢. التَّكوير/ ٢٤، وفِيْهِ: بِضَنِيْنٍ، بالضَّادِ، ورُوِيَتْ قِرَاءَةُ الظَّادِ عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (ظنّ).

٧٣. يُظَّنُّ أصْلُهُ: يُظْتَنُّ، عَلَى: يُفْتَعَلُ، فَتُثُقِّلَتِ الظَّاءُ مَعَ التَّاءِ فقُلِبَتْ ظَاءً فَشُدِّدَتْ حِيْنَ أُدْغِمَتْ.

٧٤. انظر الكتاب: سيبويه، ج١/ ص٤٠، والمقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، ج١/ ص ٤٩٤، وشرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨١، وشرح التسهيل: ابن مالك، ج١/ ص ٨١، وشرح عمدة: ابن مالك، ج١/ ص ٢٤٤، وارتشاف الضرب من: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١٠٢، وتوضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص٣٧٤، وشرح ابن عقيل، ج١/ ص ٣٨١، شفاء العليل: السلسيلي، ج١/ ص٣٩٤، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢١٦- ٢١٧، والكواكب الدرية: الحطّاب، ج١/ ص ٢٩٤، وشرح المقرب: علي محمد فاخر، ج٢/ ص ٥٠.

٧٥. انظر مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني، مادّة (رأى).

٧٦. انظر الصحاح: الجوهري، مادّة (رأى).

٧٧. مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني، مادّة (رأى).

٧٨. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ص ١٠٨- ١٠٩.

٧٩. انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري،ج١/ ص ٣٦٩- ٣٧٠، والانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: ابن المنير الاسكندري المالكي، ج١/ ص ٣٦٩- ٣٧٠.

٨٠. شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥٠.

٨١. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ص ١٠٦- ١٠٧.

٨٢. انظر شرح المقدمة الجزولية الكبير: الشلوبين،ج٢/ ص٧٠١، وتوضيح المقاصد: المرادي،ج١/ ص٣٧٤، والبهجة المرضية: السيوطي، ص ١٨٣.

٨٣. انظر همع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢١٧.

٨٤. انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (رأى).

٨٥. مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، مادّة(رأى).

٨٦. شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٤٩.

٨٧. انظر الصحاح: الجوهري، ومفردات ألفاظ القرآن:الراغب الأصفهاني، ولسان العرب: ابن منظور، تاج العروس: الزبيدي، مادّة (رأى)، وانظر أيضاً توضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص ٣٧٤، البهجة المرضية: السيوطي، ص ١٨٣.

٨٨. انظر شرح التسهيل: ابن مالك، ج١/ ص ٨٣ ـ ٨٤، وتوضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص ٣٧٤.

٨٩. انظر بحثنا: قالوا في الْحَالِ(دراسة نقدية).

٩٠. انظر شرح التسهيل: ابن مالك، ج ١/ ص ٧٧،وتوضيح المقاصد:المرادي، ج ١/ص١٧٥،وشفاء العليل: السلسيلي، ج١/ ص ٣٩٠ ـ ٣٩١، وشرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٤٨، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢١٠ـ ٢١١، والبهجة الرضية: السيوطي، ص ١٨٤، وشرح الأشموني، ج٢/ ص ٣٠ ـ ٣١، والمنقح على الموشح: أحمد بن عبد الغفار المالكي، ص ٢٣٢.

٩١. انظر شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥١.

٩٢. انظر الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ص ١١٢.

٩٣. تاج العروس: الزبيدي، مادّة (ظنّ).

٩٤. انظر ارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج ٤/ ص ٢٠٩٩، وهمع الهوامع: السيوطي، ج ٢/ ص ٢١١، والكواكب الدرية: الحطّاب، ج١/ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

٩٥. تاج العروس: الزبيدي، مادّة (عدّ)، وانظر أيضاً الصحاح: الجوهري، ولسان العرب: ابن منظور.

٩٦. تاج العروس: الزبيدي، مادّة (عدّ).

٩٧. انظر هذه الأوجهَ ومعانيها: الصحاح: الجوهري، ومفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني، ولسان العرب: ابن منظور، وتاج العروس: الزبيدي، مادّة (جعل).

٩٨. . انظر الكشاف: الزمخشري، ج٤/ ص ٢٤٨.

٩٩. . وهذا ما ذهب إليه أكثر النحاة، انظر شرح التسهيل: ابن مالك، ج١/ ص ٧٨، شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥١، وتوضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص ٣٧٦، وشرح ابن عقيل، ج١/ ص ٣٨٩، وشفاء العليل: السلسيلي، ج١/ ص ٣٩١، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢١٢.

١٠٠. انظر شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٤٨.

١٠١. انظر شرح الكافية الشافية: ابن مالك، ج١/ ص ٢٤٣ـ ٢٤٤.

١٠٢. انظر هذه الأوجُهَ ومعانيها: الصحاح: الجوهري، ولسان العرب: ابن منظور، وتاج العروس: الزبيدي، مادّة (زعم).

١٠٣. انظر توضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص٣٧٥، وشرح ابن عقيل، ج١/ ص٣٨٠، وشرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٤٨، وشرح الأشموني، ج٢/ ص ٣٠ ـ ٣١، والمنقح على الموشح: أحمد عبد الغفار المالكي، ص ٢٣٣.

١٠٤. انظر شرح التسهيل: ابن مالك ج١/ ص٧٧، وارتشاف الضرب: أبو حيان الأندلسي، ج٤/ ص ٢٠٩٨

١٠٥. انظر شرح المقدمة الجزولية: الشلوبين، ج٢/ ص ٧٠٠، وشفاء العليل: السلسيلي، ج١/ ص ٣٩١.

١٠٦. انظر البهجة المرضيّة: السيوطي، ص ١٨٤.

١٠٧. انظر شفاء العليل: السلسيلي، ج١/ ص ٣٩١، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص٢١١.

١٠٨. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٧٨.

١٠٩. انظر شرح الكافية: الرضي الاستراباذي، ج٤/ ص ١٥١.

١١٠. انظر ارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص٢٠٩٩، وتوضيح المقاصد: المرادي، ج١/ص ٣٧٥، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢١٢.

١١١. انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (زعم).

١١٢. وانظر أيضاً: الأنعام / ١٣٦و ١٣٨، والإسراء/ ٥٦، والكهف/ ٤٨و ٥٢، القصص/ ٦٢و ٧٤، وسبأ/ ٢٢، الجمعة/ ٦، والتغابن/ ٧.

١١٣. الكواكب الدرية: الحطّاب، ج١/ ص ٢٩٥.

١١٤. انظر المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، ج١/ ص ٤٩٥.

١١٥. انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (زعم).

١١٦. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي،مادّة (زعم).

١١٧. انظر تاج العروس: الزبيدي، مادّة (زعم).

١١٨. انظر النساء/ ٦٠، والأنعام/ ٩٤، والجمعة/ ٦.

١١٩. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨٤.

١٢٠. انظر حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: الشيخ محمد الخضري، ج١/ ص ١٥٢.

١٢١. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧ / ص٨٥، وشرح المقدمة الجزولية: الشلوبين، ج٢/ ص ٧٠١ ـ ٧٠٢، وشرح جمل الزجاج: ابن عصفور الإشبيلي، ج١/ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١، وشرح الكافية: الرضي الاستراباذي، ج٤/ ص ١٥٦.

١٢٢. المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، ج١/ ص ٤٩٦.

١٢٣. المقتضب: المبرد، ج٢/ ص ١١.

١٢٤. انظر شرح التسهيل:ابن مالك، ج١/ ص٨٥ ـ ٨٦،وشرح الكافية الشافية:ابن مالك، ج١/ص ٢٤٨،وتوضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص ٣٨٠ــ ٣٨١، والبهجة المرضية: السيوطي، ص ١٨٧ـ ١٨٨.

١٢٥. انظر الكتاب: سيبويه، ج١/ ص٢٣٦،وشرح الكافية: الرضي الاستراباذي، ج٤/ ص١٥٧، وارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١٠٩.

١٢٦. انظر شرح الكافية: الرضي الاستراباذي، ج٤/ ص ١٥٧.

١٢٧. انظر شرح المقدمة الجزولية الكبير: الشلوبين، ج٢/ ص ٧٠١ـ ٧٠٣.

١٢٨. عنده الإعمالُ حَسَنٌ والإلغاءُ ضعيفٌ، انظر شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الإشبيلي، ج١/ص٣٢١، وشرح المقرب: علي محمد فاخر، ج٢/ ص ٧٧.

١٢٩. عنده الإعمالُ أرجحُ من إلغائه، انظر شرح عمدة الحافظ: ابن مالك، ج١/ص ٢٤٨ـ ٢٤٩.

١٣٠. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام الأنصاري، ج١/ ص ٣٢٢.

١٣١. انظر ارتشاف الضرب: أبو حيان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١٠٩، وحاشية الخضري، ج١/ ص ١٥٢.

١٣٢. شرح الكافية الشافية: ابن مالك، ج١/ ص ٢٤٩.

١٣٣. شرح الكافية:الرضي الاستراباذي،ج٤/ ص١٥٧،وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:ابن هشام الأنصاري،ج١/ص٣٢٢

١٣٤. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨٦.

١٣٥. شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٣.

١٣٦. الكتاب: سيبويه، ج١/ ص ١٢١.

١٣٧. انظر شرح المقرب: علي محمد فاخر، ج٢/ ص ٧٧.

١٣٨. انظر الكتاب: سيبويه، ج١/ ص١١٩، والأصول: ابن السراج، ج١/ ص ١٨٣، والمقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، ج١/ ص ٤٩٧، وشرح عمدة

الحافظ: ابن مالك، ج١/ ص ٢٤٩، وشرح الكافية الشافية: ابن مالك، ج١/ ص ٢٤٨، وشرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥٧، وشرح الأشموني، ج٢/ ص ٣٨.

١٣٩. انظر شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٣.

١٤٠. انظر شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور، ج١/ ص ٣٢٠، وتوضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص ٣٨٠.

١٤١. انظر شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٣، وحاشية الصبان، ج٢/ ص ٣٨.

١٤٢. انظر المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، ج ١/ ص ٤٩٧، وشرح جمل الزجاجي: ابن عصفور، ج١/ ص ٣٢٠، وشرح عمدة الحافظ: ابن مالك، ج١/ ص ٢٤٨، وشرح الكافية الشافية: ابن مالك، ج١/ ص ٢٤٨، وشرح قطر الندى وبلّ الصدى: ابن هشام الأنصاري، ص ١٧٥، وشرح ابن عقيل، ج١/ ص ٣٩٦، وشرح الأشموني، ج٢/ ص ٣٩، وشرح المقرب: علي محمد فاخر، ج٢/ ص ٧٧.

١٤٣. انظر ارتشاف الضرب: أبو حيان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١٠٩.

١٤٤. الكتاب: سيبويه، ج١/ ص ١١٩.

١٤٥. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨٦.

١٤٦. الكتاب: سيبويه، ج١/ ص ١٢٠.

١٤٧. المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، ج١/ ص ٤٩٧.

١٤٨. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨٥.

١٤٩. انظر شرح المقرب: علي محمد فاخر، ج٢/ ص ٧٩.

١٥٠. شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور، ج١/ ص ٣٢٢.

١٥١. همع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢٢٨.

١٥٢. انظر شرح قطر الندى:ابن هشام الأنصاري، ص ١٧٦، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢٢٩.

١٥٣. الكتاب: سيبويه، ج١/ ص ١٢٠.

١٥٤. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨٦.

١٥٥. انظر شرح المصدر السابق، ج٧/ ص ٨٥، وشرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥٦.

١٥٦. انظر شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٣.

١٥٧. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨٦.

١٥٨. شرح المقرب: علي محمد فاخر، ج٢/ ص ٨١ ـ ٨٢، وانظر أيضاً ج٢/ ص ٧٧ منه.

١٥٩. انظر شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ٢٥٣.

١٦٠. منحة الجليل: محمد محيي الدّين عبد الحميد، ج١/ ص ٣٩٦.

١٦١. انظر حاشية يس على شرح التصريح، ج١/ ص ٢٥٣.

١٦٢. انظر حاشية الخضري، ج١/ ص ١٥٢.

١٦٣. انظر شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٧.

١٦٤. انظر شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥٩.

١٦٥. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨٦ ـ ٨٧.

١٦٦. انظر شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٦٠.

١٦٧. انظر شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٤.

١٦٨. انظر الأصول في النحو: ابن السرَّاج، ج١/ ص ١٨٢، وشرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص١٥٩، وارتشاف الضرب:أبو حيّان

الأندلسي،ج٤/ص٢١١٤،وتوضيح المقاصد:المرادي،ج١/ص٣٨٣، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص٢٣٤.

١٦٩. انظر شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: بدر الدين بن مالك، ج١/ ص ١٤٩، وأوضح المسالك: ابن هشام، ج١/ ص ٣١٧، وشرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٥، وشرح الأشموني، ج٢/ ص ٤١.

١٧٠. انظر شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

١٧١. انظر المصدر السابق، ج١/ ص ٢٥٥.

١٧٢. انظر شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٥٩.

١٧٣. الكتاب: سيبويه، ج١/ ص ٢٣٦.

١٧٤. شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٦٤.

١٧٥. انظر توضيح المقاصد: المرادي، ج١/ ص ٣٨٥.

١٧٦. المقتضب: المبرد، ج٣/ ص ٢٩٧.

١٧٧. انظر ارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص٢١١٦، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢٣٤وشرح الأشموني، ج٢/ ص ٤٣.

١٧٨. انظر حاشية الصبان، ج٢/ ص ٤٣.

١٧٩. انظر المصدر السابق نفسه.

١٨٠. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ج٧/ص٨٦، وشرح جمل الزجاجي: ابن عصفور، ج١/ ص ٣٢٦،وشرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٦٠، وارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١١٤، وشرح المقرب: علي محمد فاخر، ج٢/ ص ١٠٣.

١٨١. شرح الكافية: الرضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٦٠.

١٨٢. انظر شرح الأشموني، ج٢/ ص ٤٣.

١٨٣. انظر حاشية الصبان، ج٢/ ص ٤٣.

١٨٤. انظر شرح التسهيل:ابن مالك، ج١/ص٨٨،وشرح ابن عقيل، ج١/ ص ٤٠٠، وشرح قطر الندى: ابن هشام الأنصاري، ص ١٧٧، وشفاء العليل: السلسيلي، ج١/ ص ٣٩٩، وشرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٥ـ ٢٥٦، ومنحة الجليل: محمد محيي الدِّين عبد الحميد، ج١/ ص ٤٠٠.

١٨٥. الكتاب: سيبويه، ج٣/ ص ١١٠.

١٨٦. شرح الكافية: الرَّضي الاسترابادي، ج٤/ ص ١٦٠.

١٨٧. مغني اللبيب: ابن هشام، ج٢/ ص ٤٢.

١٨٨. ارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١١٤ و ٢١١٥.

١٨٩. انظر المصدر السابق، ج ٤/ ص ٢١١٤، وشرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٥، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢٣٣ـ ٢٣٤.

١٩٠. انظر شرح التسهيل:ابن مالك، ج١/ ص٨٩، وارتشاف الضرب:أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١١٥، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢٣٤، وشرح الأشموني، ج٢/ ص ٤٣.

١٩١. انظر ارتشاف الضرب: أبو حيان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١١٤.

١٩٢. انظر شرح المقرب: علي محمد فاخر، ج٢/ ص ١٠٣و ١٠٦.

١٩٣. انظر مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري، ج٢/ ص ٦٢.

١٩٤. انظر الكتاب: سيبويه، ج١/ ص ١٢١، وشرح التسهيل: ابن مالك، ج١/ ص ٨٩ ـ ٩٠، وارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١١٧ ـ ٢١١٩، وشفاء العليل: السلسيلي، ج١/ ص ٤٠٠ـ ٤٠١، وهمع الهوامع: السيوطي، ج٢/ ص ٢٣٥ـ ٢٣٦، وحاشية يس على شرح التصريح، ج١/ ص ٢٥٢ـ ٢٥٣.

١٩٥. انظر شرح الكافية: الرّضي الاستراباذي، ج٤/ ص ١٦٥ـ ١٦٦.

١٩٦. انظر شرح المفصّل:ابن يعيش، ج٧/ ص٨٧،وشرح الكافية: الرّضي الاستراباذي، ج٤/ ص١٦٦،وهمع الهوامع: السيوطي ج٢/ ص ٢٣٦، وحاشية يس على شرح التصريح، ج١/ ص ٢٥٣.

١٩٧. شرح المفصّل: ابن يعيش، ج٧/ ص ٨٦.

١٩٨. انظر الكتاب:سيبويه، ج١/ص ٣٩٩ وما بعدها، والكشَّاف:الزمخشري، ج٣/ ص ٣٥ ـ ٣٦، وشرح المفصل: ابن يعيش ج٧/ ٨٧، وارتشاف الضرب: أبو حيّان الأندلسي، ج٤/ ص ٢١١٩، ومغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري،ج٢/ ص ١٣٨ ـ ١٣٩، وأيضاً ج٢/ ص ٦٣.

١٩٩. انظر حاشية يس على شرح التصريح، ج١/ ص ٢٥٥ و ٢٥٧.

٢٠٠. انظر شرح الكافية: الرّضي الاستراباذي، ج٤/ ص ١٥٩، وشرح ابن عقيل، ج١/ ص ٣٩٥.

٢٠١. انظر أوضح المسالك: ابن هشام الأنصاري، ج١/ ص ٣١٩.

٢٠٢. انظر شرح الكافية: الرّضي الاستراباذي، ج٤/ ص ١٥٩.

٢٠٣. الكتاب: سيبويه، ج١/ ص ٢٣٦.

٢٠٤. شرح الكافية: الرّضي الاستراباذي، ج٤/ ص ١٦٤.

٢٠٥. انظر شرح التصريح: خالد الأزهري، ج١/ ص ٢٥٧، وحاشية الصبان، ج٢/ ص ٤٤.

٢٠٦. انظر حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الشيخ مصطفى الدسوقي، ج٢/ ص ٤٧٧.

٢٠٧. انظر شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور، ج١/ ٣٣٠.

مَصَادِرُ الْبَحْثِ

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيَّان الأندلسي ت ٧٤٥هـ، تحقيق الدكتور رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢. أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ، دار بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣. الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل السراج النحويّ البغداديّ ت ٣١٦هـ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤. الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي ت ٦٨٣ هـ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٥. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري ت ٧٦١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦. البهجة المرضيَّة: جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ، تحقيق: محمد صالح بن أحمد الغرسي، دار السلام.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبو فيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، دراسة وتحقيق علي شيري، المطبعة المحمدية، مصر.

٨. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ابن أم قاسم المرادي ت ٧٤٩هـ، شرح وتحقيق الدكتور عبد الرحمن علي سليمان، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية.

٩. حاشية ابن بري على درة الغواص في أوهام الخواص: أبو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي المصري ت ٥٨٢ هـ ، مطبوع مع كتاب درة الغواص، تحقيق وتعليق عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، الطبعة الأولى١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م دار الجيل/ بيروت.

١٠. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: الشيخ محمد الخضري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م.

١١. حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الشيخ مصطفى محمد عرفة الدسوقي ت ١٢٣٠هـ، تحقيق عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢. حاشية الصبان على شرح الأشموني: الصبان ت ١٢٠٦هـ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر.

١٣. حاشية يس على شرح التصريح: يس بن زين الدين العليمي الحمصي، مطبوع بهامش شرح التصريح، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٤. درة الغواص في أوهام الخواص: القاسم بن عليّ بن محمد الحريري ت ٥١٦ هـ ، تحقيق وتعليق: عبد الحفيظ فرغلي علي القُرني، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الجيل/ بيروت.

١٥. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ت ٧٦٩هـ ، تحقيق: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٦. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك ت ٦٨٦ هـ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٧. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: الأشموني، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر.

١٨. شرح التسهيل: جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجيَّاني الأندلسي ت ٦٧٢هـ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المختون، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٩. شرح التصريح على التوضيح: خالد بن عبد الله الأزهري ت ٩٠٥هـ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٠. شرح جمل الزجاج(الشرح الكبير): ابن عصفور الإشبيلي ت ٦٦٩ هـ، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢١. شرح درة الغواص في أوهام الخواص: أحمد بن محمد الخفاجي المصري ت ١٠٦٩هـ، مطبوع بهامش درة الغواص، تحقيق وتعليق: عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، الطبعة الأولى١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار الجيل/ بيروت.

٢٢. شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي ت ٦٧٢هـ، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢٣. شرح قطر الندى وبلّ الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ت ٧٦١ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٤. شرح الكافية: رضي الدين الاسترابادي ت ٦٨٦هـ، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٥. شرح الكافية الشافية: أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك الطائي الجياني الشافعي، ت ٦٧٢هـ، تحقيق علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٦. شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ت ٦٤٣هـ، عالم الكتب، بيروت.

٢٧. شرح المقدمة الجزولية الكبير: أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي الشلوبين ت ٦٥٤ هـ، تحقيق الدكتور تركي بن سهو بن نزال العتيبي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٨. شرح المقرب: علي محمد فاخر، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٩. شفاء العليل في إيضاح التسهيل: أبو عبد الله محمد بن عيسى السلسيلي ت٧٧٠هـ، دراسة وتحقيق الدكتور الشريف عبد الله علي الحسيني البركاتي، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

٣٠. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م،

٣١. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٥ هـ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

٣٢. الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت ٤٠٠هـ، علّق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٣. قالوا في الحال(دراسة نقدية): د. خطاب عمر بكر، بحث منشور في مجلة كلية الاداب، جامعة صنعاء، العدد ٢٦، السنة ٢٠٠٣م.

٣٤. الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

٣٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨ هـ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٣٦. الكليّات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ت ١٠٩٤هـ، تحقيق الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٧. الكواكب الدرية على متممة الأجرومية: الشيخ محمد بن محمد الرعيني الشهير بالحطّاب، مؤسسة الكتب الثقافية.

٣٨. لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف، مصر،

٣٩. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الْحَاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ، دراسة وتحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،

٤٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ت ٧٦١ هـ، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م،

٤١. مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني ت ٤٢٥ هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م،

٤٢. المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١هـ، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، العراق،

٤٣. المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ت ٢٨٥هـ، تحقيق عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٤٤. منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبوع بهامش شرح ابن عقيل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤٥. المنقّح على الموشّح: أحمد بن عبد الغفار المالكي ت ٩٤٠هـ، دار الإيمان، الاسكندرية، ٢٠٠٣م.

٤٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.

Dr. Katab Omar Bakir
Assistant professor
College of Education University of kirkuk

Abstract

The verbs of hearts are not effective , for nothink of their subject has reached anyone else because they are the things that take place inside the subject's self , and their meanings exist in the heart and are related and are related to it due , the fact that these verbs are produced by the heart and not the limbs or organs . For instance , if you say "I have known that Zaid is standing ; it means that you have proved the action of standing in your knowledge and you have conveyed nothing to Zaid's self . Such things are either knowledge or guess or doubt .
After mentioning the meaning of the verbs we referred to their deletion in advanced , middle , and late cases . we have seen that the grammarians of Basrah prevent the worning of these verbs contrary to the grammarians of Kufa who talk of their possibility .
We have seen that the reason behind accepting and deletind these verbs by the grammarians lies in the strength and weakness of the verbs.
And then we meantioned the suspension of these verbs. The grammarians make deleting their function compulsory in the case of existence of a verbal hanidrance , whereas they have neglected the meaning completely . it is our belief that when the Arab speaker was deciding the working or deletion or suspension or the verb he was concerned only whith its working element that was found by the grammarians later on . when Arabians act with , cancel or suspend, he wasn't influence with the factor or put it on his conceder's , but interested with the meaning because he didn't know that factor's which founded by linguists.